

يوميات صحابي في محنة

دراسة تحليلية ٠٠ لحديث وحادثة الصباح الجليل
(كعب بن مالك)

مختار نوح
سجن ملحق طره ٢٠٠١

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة . . من صاحب العلم و الفضل . .
() * + , - \$ \$ /) ' ' ! "# \$ % &

أخي قارئ هذا الكتاب . . أدر مؤشر جهاز استقبالك القلبي دون تشويش خارجي حتى تستقبل صوت كعب ابن مالك رضى الله عنه وهو يحكى لك قصته وأنت فى حاله صفاء نفسي على نفس الموجه التي حدثت فيها أحداث القصة وهى نفس الموجه التي كتب بها الأخ مختار (< 78&9!:*;%&6< 0*1 2% 25 6) /- هذا الكتاب أو بالحرى التجربة البشرية الراقية .

واجعل يا أخي القارئ هذا دائما حالك النفسي في تلقى أحداث السيرة ومواقف الصحابة الذين قال عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(=>?: @! 2A\$/3\$) B4 *) *.A8 \$/36Q 2#\$/3D>:&!%)

حتى في أخطائهم وتوبتهم من هذه الأخطاء .
بل جهز قلبك بنفس التهيئة لاستقبال آيات القرآن الكريم فكما يقول صاحب ظلال القرآن الوارفة الأستاذ EF5 \$+ رحمه الله :

(=-G6L: 78&9J*+%!<%&6Q (G@H2I>@! 9J*+ !< KG6L: 9M;%&&A 9H)

فالقرآن الذي نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام على قلب الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم يحتاج أن نستقبله بقلوبنا نحن أيضا ليكون الرسول قدوتنا بحق في تجربة هذا الكتاب وهو محاولة من الكاتب لسماع آيات من سورة التوبة بإذنين في قلبه لا أذنين في رأسه فجرب أنت أيضا يا أخي القارئ هذه التجربة لعل الله ان ينفعنا وإياك وكاتب هذا الكتاب بالقرآن الكريم والسيرة المطهرة و حياة الصحابة .

رضى الله عليهم وجمعنا بهم في أعلى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء

والصالحين برحمته وهو أرحم الراحمين .

=. !>0 (<&

() * + , - \$ \$ /) ' ' \$

N\$;)

E*'00#%&N<OI:) 6!0/

P (./?%&&A &*)%

لم يكن من الموضوعات المتداولة بين الناس الاهتمام بالحالة النفسية للإنسان أو مراعاة البعد النفسى في الأعمال المادية للإنسان حتى ظهر الإسلام في تلك الأرض المتحجرة .. الصفراء منذ ألف وخمسمائة عام تقريبا .. فاهتم بالنفس البشرية لا من حيث التوجيه فحسب .. وإنما من حيث المعالجة .. فعالجت أحكامه النفوس قبل أن تخاطبها و الأمثلة على ذلك أكثر من الحصر و أوفر من العد ..

ولعل منها تلك المعالجة النفسية لشباب جامع النفس .. يعانى من زيادة الطاقة الجنسية لديه ولم يجد حلا لنفسه إلا أن يلتمس من الرسول صلى الله عليه وسلم الإذن له بالزنا .. وقد فهم الصحابة وهم يتعلمون من نبيهم أن الشاب يريد ان يرتكب فعلا محرما .. فهموا به .. أما الرسول عليه الصلاة والسلام فقد علم أن الشاب يريد الحلال كما شرع في الإسلام .. خالصا لوجه الله بدليل طلبه الإذن بالفعل .. فالإذن يعنى الالتزام بالأمر .. وما كان من المصطفى صلى الله عليه وسلم ألا أنه فهم الأمر من خلال الأبعاد النفسية للفتى كما فهم أنه صراع الغريزة داخل الفتى يطالبه بذلك فهو قد يرغب في الزنا للحصول على مغنم نفسي يلح عليه ويصارعه .. أو ربما يكون خلف الإذن عاطفة جامحة لامرأة .. أو رغبة في الاقتران بفتاة رغم أنف عشيرتها أو وليها ..

على أية حال فالفتى أمام رغبة حالت دون تحقيقها الظروف .. وإلا كان قد حققه بالزواج المباح وهذا هو تحديد رسولنا صلى الله عليه وسلم لطبيعة المشكلة النفسية التي يواجهها الفتى .. ومن أجل ذلك كانت المعالجة تتم في ذات الإطار النفسى .. وبعيدا من مجرد تبيان الحكم الشرعي فسأله صلى الله عليه وسلم أترضاه لأمك؟ .. قال لا .. قال كذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم .. ثم قال أترضاه لزوجك؟ .. قال لا .. قال كذلك الناس لا يرضونه لزوجاتهم ..

ولابد أن هذه الاستنارات النفسية قد خلقت فى نفس الفتى المسلم نوعا من أنواع التعادل الداخلي ..

فغريزة ثائرة .. لا تخدها إلا مشاعر نفسية أقوى منها أو تعادلها ..

هكذا أثار المصطفى صلى الله عليه وسلم رة الفطرية في نفس الفتى

الحديث رواه : عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه وهو حديث حسن صحيح رواه النووى فى كتاب الحجة بأسناداً صحيح
فالصورة الصحيحة للخطأ هى النموذج الذى يجب ان نتدارسه باعتبار أن الخطأ هو أصل
من أصول التكوين الإنساني ٠٠

(WFJ 2§39.&6#) (٢)

فليس من الغريب أن أن يخطئ واحد من الناس ولكن المهم أن يخطئ بصورة صحيحة
٠٠ وعلى المجتمع أيضا أن يتعامل مع وجود الخطأ ٠٠ وأن يتقبله كمظهر طبيعي جدا من
مظاهر البشرية ٠٠ وعلامة على صحة بشريتها ٠٠
وفارق كبير بين رفض الخطأ وبين رفض تصور وجوده أو المبالغة فى ذلك الرفض مما
يؤدي إلى المخطئ بأن جريمته هى الوحيدة فى هذا العالم ٠٠
فالنموذج الإسلامى الذى نقل إلينا فى كتب السيرة يعلمنا الفارق الأساسى بين رفض
المجتمع للخطأ ٠٠ وبين رفض المجتمع للمخطئ ٠٠ وكذلك بين التعامل مع الخطأ ٠٠
كمظهر طبيعي ودليل كوني على بشرية الفاعل أو بين التعامل معه ٠٠ على إنه أمر
مستغرب عجيب أن نراه على كوكبنا ٠٠
ومن أجل ذلك كان ينبغي دراسة يوميات أحد الصحابة وهو يكتب فيها عن محنته وكيف
بدأت وكيف انتهت ٠٠ ف الجماعة المسلمة منه

الحديث رواه : أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم

6!\&E*.%&

(N+&\$%6/) N%/%&KG] CT)%& ?*:R4%2*R&9*-.%&

ورد فى الصحاح ذلك الحديث الذي رواه كعب بن مالك رضى الله عنه فى صورة هى أشبه باليوميات والمذكرات الشخصية ٠٠ وهذه المذكرات تروي فى صدق ودقة وصف تلك الحالة النفسية التي مر بها واحد من الصحابة الأبرار ٠٠ إثر شعوره رضى الله عنه باللوم الذاتي على خطأ قد ارتكبه فى حق الله وفى حق رسوله صلى الله عليه وسلم بأن تخلف عن غزوه غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠

وإذا كنا سنتناول بالبحث أطراف هذه الحادثة وأفرادها فإن ذلك لن يكون إلا من خلال إلقاء الضوء على عناصرها ٠٠ الفرد والجماعة والقائد ٠

فالفرد وهو كعب بن مالك ٠٠ أحد أبناء هذه الأمة ومن النفر الذي بايع المصطفى صلى الله عليه وسلم فى أيام الدعوة الأولى إذ تعثر لحظة فيتخلف عن غزوة ٠٠ فيأبى إلا أن يلوم نفسه ويقبل بقضاء الله فى محنة طويلة سجلها بنفسه على نفسه ٠

وأما الجماعة فقد تباينت مواقفها أمام هذه التجربة ٠٠ وأمام هذا الخطأ ٠٠ بل إن الجماعة شكلت طوق الإنقاذ النفسى لهذا الصحابي ٠٠ وان كادت أن تشكل عكس ذلك فى أوقات أخرى ٠

وأما القائد فهو المصطفى صلى الله عليه وسلم ٠٠ وكان من رحمة الله بنا ان نشاهد آثار رفته ورحمته بالمؤمنين على أكتاف تجربة كذلك التي مر بها كعب بن مالك ومن هنا فإننا سنتحدث عن تلك العناصر والمؤثرات الثلاثة فى إشارة إلى أنها أثرت على مجريات الأمور وشاركت فى تكوينها ٠

\$ 00>%G هو المؤثر الأول باعتباره محل الحدث وبطل الرواية وأحداثها

%&("< ,) هو المؤثر الثانى باعتباره الواقع المحيط بالفرد

3) فهو المؤثر الثالث باعتباره القائد والمربي الرؤوف الرحيم صلي الله عليه وسلم

وتخلص مؤثرات هذه الحالة .. فى عناصر ثلاثة ..

6! \& ? :R& ويدور حول الشخصية التي مرت بها الأحداث وكيفية استقبالها للمحنة وهو نموذج المخطئ

استقبال المجتمع للخطأ وأثره على نفسية المخطئ ، أي نموذج الجماعة

تعامل القيادة مع الخطأ والمخطئ ، وهو نموذج القيادة

والمؤثرات الثلاثة .. قد ساهمت بصورة أو بأخرى .. إيجابا أو سلبا فى الحالة النفسية لصاحب المحنة .. وفى وقت المحنة ..

فأثر الخطأ على النفس الانسانية وهو العنصر الأول .. يتحدد بحجم وطبيعة هذه النفس

وليس معنى هذا هونسيبة الخطأ .. وإنما يعنى نسبية تأثر النفس بالخطأ ونظرتها إليه ..

فقد ورد فى الأثر عن (أنس رضى الله عنه قال)

6!0+ %&SOIO K4 *A& : *:# _] R1%&9) D\$32#:-03KG*I:!! " @*R3 9!4R" 2#H)

(U*#4I)%&U*:.!)%&9) - 24+! N-4D [&K4?

ولكى نوضح الأمر علينا أن نتعرض لخطورة إغفال هذا العنصر .. فالنفس اللوامة تكون

عادة قد حملت نفسها من الندم الكثير بدافع من طبيعتها الصحيحة .. وبالقدر الكافي

لاستشعارها بالإثم .. ومن ثم فقد ينحصر دور المجتمع عند هذه الحدود .. فيبتعد عن

محاولة إيقاف اللوم فى النفس .. والذي يكون فى حقيقته .. أي اللوم .. فى حالة استيقاظ

شديد .. ويكون من أمر زيادة هذه الجرعة أو المبالغة فى إيقاف اللوم .. ردة عكسية قد

تضر .. ولا تفيد .. ومن هنا كان ينبغي دراسة طبيعة نفسية الممتحن .. فهى مؤثر

أول .

أما المؤثر الثاني .. وهو نموذج الجماعة .. فيتكامل فى أهميته مع المؤثر الثالث - وهو

نموذج القائد .. فإما أن تتضامن مع قدراته وتسير على خطواته - ونهجه - وإما أن

تتضارب معه فيغيب التقويم الصحيح للخطأ .. بل وتقع الجماعة فى أخطاء أشد جسامة

.. وجرائم أكثر فداحة ..

من أجل ذلك لم يعتمد الإسلام فى نهجه إلا جهة واحدة لتقضي بين المتخاصمين فيسمعون

لحكمها ويلتزمون بها .. وهى القضاء

أما المجتمع الذي يجعل من نفسه قاضياً فهو أسوأ أنواع المجتمعات تخلفاً ٠٠ لذلك يأمرهم الإسلام باجتنب الظن ويطالبهم بالتبين ٠٠ كما نهى الناس حتى عن الحكم على الآخرين تزكية أو لوما ٠٠٠

وينحصر دور المجتمع في الإسلام في أمر الإصلاح العام ٠٠ والقيام بالدور التكميلي مع القيادة ٠٠ فهو نموذج القيادة ٠٠ ونموذج القيادة في قصتنا هو المصطفى صلى الله عليه وسلم - والذي من كمال شريعته أن يظهر النقص معاصراً لحياته صلى الله عليه وسلم وأن يظهر الخطأ بين أفرادهِ ، ذلك لكي يترك لنا ضمن ما تركه صلى الله عليه وسلم ٠٠ صحيح التعامل مع الخطأ ٠٠

تلك النظرة العلاجية التي لن يفلح أثرها إلا إذا قام بها قلب مشفق على الرعية ٠٠ يحبهم ويحبونه ٠٠ وهو نموذج القائد ٠٠

فنظريات الإصلاح الاجتماعية الحالية ربما لن تهتدي إلى أسباب قصورها إلا أن تهتم أكثر بشخص العاملين على تطبيق هذه النظريات ٠٠

الخلاصة إذن - أن عناصر التأثير الثلاثة التي يجب بحثها عند معالجة أي خطأ

١. نموذج الممتحن - %&OFJ` -
٢. نموذج المجتمع - %&N0*O)< -
- a. نموذج القيادة - %&S700; -

^-\$/%&b :

اخرج البخارى عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال :- لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها إلا فى غزوة تبوك ، غير أنى كنت تخلفت فى غزوة بدر ولم يعاتب عنها ؛ أنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم و بين عدوهم على غير ميعاد . ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة (١) حين تواتقنا (١) على الإسلام ، وما أحب أن لى بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر فى الناس منها .

كان من خبرى : انى لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة ، والله ما اجتمعت عندى قبله راحلتان قط حتى جمعتهما فى تلك الغزوة ؛ ولم يكن رسول الله يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرّ شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً (٢) وعدواً (٣) كثيراً .

فجلى (٤) للمسلمين أمرهم ليتأهبوا (٥) أهبة (٦) غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذى يريد ؛ والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان .

قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظنّ ان سيخفى(٧) له ما لم ينزل فيه وحى الله ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه . فطفقت أغدو لكى أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً ، فأقول فى نفسى : أنا قادر عليه فلم يزل يتمادى بى حتى اشتد بالناس الجد . فأصبح رسول الله والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازى (٨) شيئاً فقلت : أتجهز بعد يوم أو يومين ، ثم ألحقهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز . فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل بى حتى أسرعوا وتقارط (٩) الغزو ، وهممتُ أن أرتحل فأدركهم ، وليتتى فعلت - فلم يقدر لى ذلك . فكنت إذا خرجت فى الناس بعد تيه وسلم فطففت فيهم ، أجزنى أنى لا أرى إلا رجلاً مغموضاً

- تيه *

التيه التوتيفم ١٩١٤

لك • فقلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العمرى ، وهلال ابن أمية الواقفى ، فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة ، فمضيت حين ذكروهما • ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت فى نفسى الأرض ، فما هى التى أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحبى فاستكانا (١٤) وقعدا فى بيوتهما ببيكان ، وأما أنا فكنت أشبّ القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف فى الأسواق و لا يكلمنى أحد • وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، وأقول فى نفسى : هل حرك شفثيه برد السلام علىّ أم لا ؟ ثم أصلى قريباً منه فأسارقه (١٥) النظر ، فإذا أقبلت على صلاتى أقبل إلىّ ، وإذا إلتفت نحوه أعرض عنى ، حتى إذا طال علىّ ذلك من جفوة (١٦) الناس مشيت حتى تسورت جدار أبى قتادة وهو ابن عمى وأحبّ الناس إلىّ فسلمت عليه ، فو الله ! ما رد علىّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ! أنشدك بالله ! هل تعلمنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت • فعدت له فنشدته ، فسكت : فعدت له فنشدته • فقال : الله ورسوله أعلم • ففاضت عيناى وتولّيت حتى تسورت (١٧) الجدار • قال : وبيننا أنا أمشى بسوق المدينة إذا نبطىّ من أنباط أهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدلّنى على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءنى ، دفع إلىّ كتاباً من ملك غسان فى سرقة (١٨) من حرير ، فإذا فيه

(١١) مقابلة الحجة بالحجة • (١٢) تغضب على • (١٣) يلوموننى • (١٤) خضعاً وذلاً
(١٥) أى انظر إليه أختلاصاً بحيث لا يشعر • (١٦) الغلط فى المعاشرة • (١٧) صعدت عليه • (١٨) قطعه من جيد الحرير

"أما بعد ! فإنه قد بلغنى أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله

بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسيك "

فقلت لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء ، فتيممت (١٩) بها التتور فسجرتة (٢٠) بها • فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين ، إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى فقال : إن رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك • فقلت أطلّقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبى بمثل ذلك فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر •

قال كعب : فجاءت امرأة هلال بن أمية إلى رسول الله فقالت : يارسول الله ! إن هلال بن أمية شيخ ضائع ، ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : لا ، ولكن لا يقربك • قالت : إنه و الله ! ما به حركة إلى شىء و الله ! ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك كما استأذن هلال بن أمية أن تخدمه • فقلت : والله ! لا استأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب ؟ قال : فلبثت بعد

ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا . فلما صليت الفجر صُبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا - فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله عزّ و جلّ قد ضاقت علىّ نفسي وضاقت علىّ الأرض بما رحبت - سمعت صوت صارخ أوفى (٢١) على جبل سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب ! أبشر ! فخررت (٢٢) ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرج ، وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر . فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قبل صاحبيّ مبشرون ، وركض رجل إلى فرسا ، وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس . فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى نزعته له ثوبىّ فكسوته إياهما ببشراه ، و والله ! ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني يقولون بالتوبة : ليهنك توبة الله عليك . قال كعب : حتى دخلت المسجد فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، حوله الناس ، فقام إلىّ طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه يهرول (٢٣) حتى صافحني وهنأني ، والله ! ما قام إلىّ رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة . قال كعب : فلما سلّمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو يبرق وجهه من السرور- : أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك امك ! قال فقلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا ، بل من عند الله . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرّ استنار (٢٤) وجهه حتى كأنه قطعة قمر : وكنا نعرف ذلك منه . فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ! إن من توبتي ان أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسول الله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك . فقلت : فأني أمسك سهمي الذي بخيبر ، وقلت يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

(١٩) فقصدت (٢٠) أدخلتها في التور (٢١) اشرف . (٢٢) فسقطت . (٢٣) يسرع في مشيه . (٢٤) أضاء . وسلم - ! أن الله إنما نجاني بالصدق ، وإن من توبتي ، ألا أتحدث إلا صدقاً ما بقيت ، فو الله ! ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني ، وما شهدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا كذباً ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقيت . وأنزل الله على الرسول صلى الله عليه وسلم :

" لقد تاب الله على النبيّ و المهاجرين و الأنصار - إلى قوله - وكونوا مع الصادقين "

فو الله ! ما أنعم الله علىّ من نعمه قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا : فان الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرّ ما قال لأحد ، قال الله تعالى " سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم - إلى قوله - فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين " . قال كعب وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم و استغفر لهم و أرجأ رسول الله صلى

الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه • فبذلك قال الله تعالى " وعلى الثلاثة الذين خلفوا " ليس ذكر الله مما خلفنا من الغزو وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عن حلف له ، واعتذر إليه ، فقبل منهم • (*)

(*) وهكذا رواه مسلم وابن أسحاق • ورواه الأمام أحمد بزيادات يسيرة- فى البداية (ج ٥ ص ٢٣) • وأخرجه أيضاً أبو داود ، والنسائي بنحوه مفرقاً مختصراً ، روى الترمذى قطعة من أوله ، ثم قال : وذكر الحديث - كذا فى الترغيب (ج ٤ ص ٣٦٦) ، وأخرجه البيهقى (ج ٤ ص ٣٣) بطوله •

6!\&E*.%&

6!\&6?>%&

(\$ >%&) `FJ)%&c8!):

والممتحن ٠٠ هو الذى يمر بمحنة ٠٠ أو دائرة ضيقه يسعى للخلاص منها والمعنى يشير إلى الاختبار ٠٠ بصورة أقرب ٠٠

وصعوبة البلاء تأتي بقدر حساسية النفوس ومن هنا كان لزاما علينا قبل أن نتعرض للرواية وألفاظها أن نتعرض إلى بطلها وصاحبها أولاً وقبل كل شيء ٠٠ بالدراسة النفسية الشاملة لهذه الشخصية .

وإذا كانت القصة تتلخص فى حدث وحيد وهو تخلف "كعب بن مالك " رضى الله عنه عن غزوة تبوك ٠٠ إلا أن هذا الحدث ما كان ليأخذ حقه فى الرواية والتحليل والنقل والاهتمام التاريخي لولا الاعتبار الشخصي المتمثل فى صاحب الرواية وبطل الأحداث وهو شخص كعب بن مالك .

فتبوك لم تكن الغزوة الوحيدة التي تخلف عنها نفر من المسلمين ٠٠ ولم يكن كعب بن مالك هو المتخلف الوحيد عن غزوة تبوك - كذلك ٠٠

الا أن ماهية الشخص تضيء بظلالها على الحدث - كما أن أثر الحدث على النفس يختلف من إنسان إلى آخر ٠٠

ومن هنا فإن كعب بن مالك ٠٠ هو الصحابي الذي بايع الرسول صلى الله عليه وسلم فى ليلة العقبة وهو من الذين حملوا الدعوة الإسلامية فى مهدها وهو من هو ٠٠ وكان لهذا الاعتبار الشخصي ٠٠ والمتمثل فى شخصية كعب بن مالك أثره الكبير فى نشأة محنته النفسية بهذا القدر من الجسامة ٠٠

فخطأ الرموز الإسلامية والعلامات البارزة على طريق الدعوة ليس كخطأ العوام من المسلمين - فالقيادة عند الناس قد تكون وجاهة وعصمة وحصانة وفقاً لمعايير الأرض البشرية ٠٠ أما القيادة فى الإسلام فهي تضيف مزيداً من الابتلاء ٠٠ ومزيداً من العناء ومزيداً من الإعداد ٠٠ فهذا ربنا تبارك وتعالى يخاطب نساء النبي صلى الله عليه وسلم :

(يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه

مرض وقلن قولاً معروفاً) الآية ٣٢ من سورة الأحزاب

كما أنك تجد أن قيام الليل واجب على النبي صلى الله عليه وسلم ٠٠ نافلة للمسلمين

(-3*I%&L)6 ' ' 25@H6-4&Y-5) الآية ٢١، من سورة المزمل

(-3*0%&IO)0S ' ' 25&DG&f Ne&) من سورة المدثر

وكذلك تحريم النساء على النبي بمقتضى الآية : -

U0#4 *) @H9I:+/ g.<03!% c&L39) 9I. 6\$ " 93@! \$R 9) W*+:%&g%6/- @)

٥٢- (-: g*#! [&9*# 1 6# K40 ` 5-*) سورة الأحزاب الآية ٥٢

ومن هنا فإن الاعتبار الشخصي سيطر علينا برأسه في بيان النقاط التالية والتي سنقصرها

على النظرة داخل النفس - عملاً بمنهج البحث وهي :-

@!& - الحب الذي يكنه كعب بن مالك لرسول الله صلى الله عليه وسلم والذي أضاف إلى

رصيد الألم النفسى رصيماً مضاعفاً .

*:C - مكانة الرجل بين أهله وموقعه في الدعوة قد ضاعف من لوم النفس وآلامها

أولاً :- أثر حب القيادة على

نفس كعب بن مالك .

لم يكن ما يعانيه كعب بن مالك إلا شعوراً مركباً . من الألم . والحزن . والندم .

والانكسار . وقد أضاف إلى ما سبق ذلك الخط الوجداني البديع الذي يربط بينه وبين

رسول الله صلى الله عليه وسلم مزيداً من عمق هذه المشاعر وقوتها .

ذلك الخط الوجداني المتصل هو المدرسة التي تعامل فيها القائد مع الجنود فخرجوا منها

مدركين أن الحب هو صانع الثقة . وهو الطريق المؤدي إليها .

وقد جمع الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم في صدورهم الحب - كل الحب - وكذلك

جمع النبي صلى الله عليه وسلم لهم جميعاً حباً في قلبه . جعله بهم رؤوفاً رحيماً حتى

وصل الأمر إلى أن ما يقلق الصحابي في حياته هو ما سيؤول إليه حاله بعد موته مع النبي

صلى الله عليه وسلم قريباً أو بعداً .

فهو كما يتصور لن يحشر مع النبي صلى الله عليه وسلم ولن يكون في درجته - إلا أن

النبي يقرأ ذلك في قلب الصحابي ويطمئنه قائلاً:

(E/&9) ,) W)%& 1/-)

هذا هو حب الصحابة للنبي . وهو حب وصل إلى قمته . ثم يتفاوت بعد القمة بينهم

. ويتجلى هذا الحب في ألفاظ الرواية من وجهين . فأما الوجه الأول فيكشفه ذلك

الطغيان الشعوري الذي يجعل اسم النبي سابقاً على الحدث وأما الوجه الثاني فهو روعة

وشاعرية وصف المواقف المشتركة .

^\$/%6.5 ' ' *)V\$ ' ' K.:%2+&- 6!\&=<!&

وكعب بن مالك قد تخطى قمة الحب بدرجات عديدة ٠٠ ونلاحظ ذلك من خلال عبارات يومياته ٠٠ وكيف يسبق اسم النبي أى حدث يرويه كعب فى رواياته ٠٠٠٠

(*A&i]!Li KG24+! =-4D [&K4? [&6!+ 90 h4J"32%)

ويلحظ القارئ ما يسميه بعض علماء النفس " بالطغيان الشعوري " والذي يتجلى فى ألفاظ اليوميات ٠٠ وهى تفرض نفسها فى لغة الخطاب ٠٠ إذ يقول :

([&6!+ 90 h4J"32%)

فالتخلف كما بدا فى الألفاظ كان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكون عن الغزوة بينما قد يكون للجملة تركيب أخر لم يذكره الصحابي ٠٠ ولم تذكره الرواية : كأن

يقول : ([&6!+ *A&i]!Li 90 h4J"32%)

إن هذا التقديم لاسم الرسول هو ما يسمى (!R1%9*-jF% 7) ، الذي يطرح نفسه على كلمات الإنسان عند التلقائية فتكون الكلمات انعكاسا لما يدور داخله من مشاعر فياضة أو طاغية - حتى حينما تتكرر العبارات وتبتعد الألفاظ بعضها عن بعض ٠٠ لا يختلف ترتيبها الوجداني أبدا وكأن الرباط العاطفي هو الحبل الذي يربط بين أطرافها جميعا فبعد أن حكى قليلا فى اليوميات الخالدة عاد إلى ذكر تخلفه عن الغزوة بذات الترتيب النفسى

(]!Lj%& g4 KG=:0 U>4J" 9- / +-3@! k!53F5 9#32% (:3:7 .J 9) 9*#)

ومرة أخرى يظهر أثر ذلك الحب فى قوله حين تخلفت عنه ٠٠ وكأن أمر التخلف عن النبي يطل بجسامته مرادفا ومصاحبا وسابقا فى مفرداته عن التخلف عن الغزوة ٠٠ فالتخلف عن غزوة هو أمر مؤلم لأصحاب القلوب المؤمنة ٠٠ ولكن التخلف عن غزوة قائدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ فإنه الألم عينه ٠٠ وعين الألم ٠٠

أنظر معي أيضا إلى ذلك الطوفان الشعوري على ذات النسق السابق

(6Y1%& *)C&U.*F 9- /]!Lj%&g4 24+! =-4D [&K4? [&6!+ &i !)

ثم أنظر معي أيضا إلى تلك المنظومة اللفظية التي لا تختل ولا تختلف ويظهر فيها اسم القائد صلى الله عليه وسلم فى مقدمة الحدث ٠٠ أى حدث .

(=R) 9!)4+)%& ' ' 20004+! =-4D [&K4? [&6!+ LI0<"!)

(*V1 7L*I< 9) n 532% =R) 9!)4+)%& ' ' [&6!+ m?*G) ثم

ثم (U>FG24+! =-4D [&K4? [&6!+ c! J SR O*:%&KG U< J &HU:#G)

(D*:%&KG=-4D *?!)j) Y< @Hk 3@3 (::L/3_ 2I-G

ثم (8*). 6!53 E8#%& #8'3U;>F! ()A (: p/ YG*5=<!" =:3 (:j4 *)4G)

(? &si =FJ+ 9) c J3

وكذلك (6F*.%&(:0 X& *)\$*5 6l 3\$5 24+! =-4D [&K4? [&6!+ 9H6-5*)4G)

إن فكل ما مر من ألفاظ كاشفة .. إنما هي تعبير صادق عن حالة الطوفان العاطفي ..
يكتشفه الباحث من خلال التقديم والتأخير في استخدام الألفاظ فاسم الرسول هو المقدم على
الغزوة في كل ألفاظ وتركيبات الرواية ..

N# "1)%&h5&)%&N- 0*1! NO! ' ' K:*C&=<!%&

ولكن ثمة مباشرة في التعبير .. تصل به إلى أسمى درجات صدق الانفعال الوجداني ..
فأنظر معي إلى ذلك التفصيل المشحون بالشجن .. رغم أنه يتعرض لوصف موقف
واقعي محدد .. وهو اللقاء مع الحبيب صلى الله عليه وسلم .. ولقاء الحبيب هو قمة
الانفعال والعاطفة .. وهي عاطفة مؤرقة في ذات الوقت إذا اشتملها الألم .. فتنضح
بها الألفاظ ويشهد بها الفكر .. ويعيش الإنسان معها أشد حالات الأرق .. ويظهر كل
ذلك واضحا من خلال اللفظ البشري في تلك اليوميات وهي تضيف على لسان صاحبها عند
أول لقاء بعد استحكام الشعور الذاتي بالخطأ عند النفس البشرية .. مع الحبيب المصطفى
صلى الله عليه وسلم .

U+4< K"/ (1)3UV<G' ' 6*R' 6*5 2CEpj)%&2+." 2+." =-4D U)4+ *)4G: ="V<G)

(=-\$ 9-

إن الألفاظ تنطق بالشجن والألم الشعوري الممزوج بالمحبة في مزيج واحد يدل عليه
تفصيل الوصف واستخدام التعبيرات الرائعة (#) (Epj)%&2+." (=-\$ 9-. U+4<!)
وهذا المزيج الرائع يتضح في التفصيل الوصفي .. فما كان يغني عنه لفظ واحد عبر عنه
الصحابي الرقيق في أكثر من عشرين كلمة واصفا حبيبه وهو يقول مثل :

(=-\$ 9-. U+4< K"/ (1)3UV<G) (Epj)%&2+." 2+.")

إلا أن الإنسان ليعجب من هذه العاطفة الرائعة السامية .. ومن تلك الأنفس .. التي
وصلت في أمر محبتها لقائدها صلى الله عليه وسلم إلى هذه الدرجة العالية من الفيضان
النفسي وانظر معي إلى هذا المشهد الرقيق لصاحب اليوميات وهو يقاوم الواقع ويذهب

ليشهد الصلاة مع المسلمين وذلك لما يرمى إليه من مقاصد .. كان أقواها أن يشاهد حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم تكن تلك المشاهدة .. كأبي مشاهده .. ولكن تأمل معي في هذا التعبير الرائع وهو يحكى عن رؤية حبيبه صلى الله عليه وسلم أثناء فترة صدور الأمر للناس بمقاطعة كعب بن مالك صاحب اليوميات :

KO" M \$0/3 (:)# @! D&+ \&KG h! F3 9-)4+)%,)]Y?%&\$I1d c J3U:#Q
!(+>: KG 6! 53]Y?%&SR =+4<) KG !A! =-4 24+d 24+! =-4 [&K4? [&6!+
U0453&G 1:%&=5 *+d=:) *- 5 (4? 32CP @ 2344 2Y+%&\$. =->1 g / 60I
((:0 n 03S!/: U>"&&H K%#6.53 ("Y? K4

ولن يجد القارئ أروع ولا أسمى من هذه المشاعر فهالما الحبيبان .. يخاطف كل منهما النظر إلى حبيبه خلسة ..

فالقائد الذي يربي ويمنع من أجل الإصلاح وينفطر قلبه لتأذى حبيبه كالوالد الحاني الذي يحتجز عن صغيره وحبيبه ضررا .. وينفطر قلبه لبكاء الصغير في ذات الوقت .. عند تناول الدواء فكان الصحابي ينظر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا وكان يعيش دوامة العذاب المستمر والتساؤل المضني لجوانب العاطفة سائلا نفسه عما إذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم قد حرك شفتيه برد السلام أم لا - وهل ينظر إليه أم لا؟! ..

إنها اختلاجات الحب .. تلك التي تجعل الحبيين يتخاطفان النظر كل منهما إلى حبيبه فتدفع الصحابي إلى أن يصلي قريبا من الحبيب المصطفى وينظر إليه اختلاسا دون أن يشعر النبي .. فلا ينظر إليه الحبيب المصطفى إلا بعد أن يدخل الصحابي في صلاته .. فيبادله النبي صلى الله عليه وسلم حبا بحب .. وكأنه لا يريد أن يظهر له الوجد الشديد وإنما يريد أن يعطيه جرعات الدواء بشدة مفتعله ..

ثم يتجلى أخيرا ذلك الجانب النفسي الرائع في نهاية اليوميات .. حينما يمن الله على كعب بالتوبة .. وتأتيه البشارة .. فيذهب إلى حضن الحبيب ولا أعتقد أنه ذهب ليسأله ذلك السؤال الذي أورده في يومياته

([&\$0 9) 6. : @ 6*5 P [&\$0 9) 23 [&6!+ *- g\$0 9)3)

بأش نخاى ٢دى ما كان ذهابه إلى النبي كما ينكشف جليا من عبارات اليوميات وألفاظها ليطفئ الصحابي ر الشوق التي

هذا الشوق الذي حمله للرسول صلى الله عليه وسلم والذي كان يحاول أن يهدىء من لهيبه
 .. بأن يذهب ليصلي بالقرب منه صلى الله عليه وسلم أو أن يسارقه النظر أو أن يلقي
 عليه السلام على أمل سماع صوته صلى الله عليه وسلم .. إلا أن شيئاً من ذلك لم يسعفه
 إلى أن من الله عليه بالتوبة فسارع إلى النبي حتى ينقذ روحه بالنظر إلى الحبيب ويروى
 عطشه بالحديث إلى قائدة وحببيه صلى الله عليه وسلم

وتظهر هذه العاطفة الجياشة عند اللقاء في تلك الكلمات التي سطرها كاتب اليوميات

()5 NRF5 =:d# K"/ =I<! *:"+&qt+ &H24+! =-40 [&K4? [&6!+ 9*#!)

فهل رأيتكم وصفا أجمل وأروع من ذلك الوصف لوجه الحبيب المصطفى عليه السلام ..
 نعم إنها لغة المتحابين .. ووصف المتحابين ..

وكانت المحبة هي التي عززت وصعبت من عنف الابتلاء على نفس النموذج الإسلامي
 الرائع .. كعب بن مالك ..

=439-. 6< %&N:*#) - *-*:C
 ' ' k!0\$&KG=;. + 90 YpG
 ' *I)@M o>:%&2!%9) h0*p-

لا تقاس الأخطاء بصورة مجردة عن واقعها على الأقل من حيث آثارها على النفس وطرق
 علاجها ، فالخطأ باعتباره هوسلوك إرادي يرتبط بنفس إنسانية هي التي ارتكبتة عن وعي
 وإدراك .. كما أنه يرتبط بمحيط واقعي يجسم أو يقلل من حجمه حسب الأحوال .. فليس
 من المتصور أن تكون للأخطاء قوالب ثابتة لقياسها سواء من حيث جسامتها أو من حيث
 أثرها العام الاجتماعي ..

ولكن لقياس الخطأ وجه آخر يأتي عند النظر إلى أمر العلاج .. ذلك أن علم العقاب
 .. يقتضى دراسة النفس الإنسانية .. ومدى حاجتها إلى الردع أو الزجر ..

([*1Z&=># " !3) (N%;)%&=># /%& *?R% u ; - \$.R&: 0*1%6!;- *)#)

ومن هنا .. فإن دراسة النموذج الإسلامي الرائع .. للصحابي كعب بن مالك .. هو
 دراسة لازمة لمعرفة أثر العقاب وحدوده .. وأسلوبه .. على النفس البشرية بحسب
 طبيعتها

ويتجلى ذلك فى كعب بن مالك وهو النموذج محل دراسته فى ناحيتين:-

• 3%I* - الألم من لوم الذات أو الندم

• C*:-I* - المبالغة فى الاعتراف بالخطأ

هذه هى آثار الذنب على النفس النموذجية السوية - ومن هنا يصح القول أن أثر الذنب على النفس السوية يختلف عن سواها وبينبى على ذلك أن نوعية العقاب يجب أن تختلف أيضا عن سواها وهو ما سندرسه فى الفصل الثالث •

2%&f (2%&!3U8%2!%9)

وهذه المظاهر قد ارتبطت ارتباطا لا يقبل الفصل او القسمة •• فالألم الشديد هو الذى أدى إلى مزيد من عقاب الذات •• وكان أن قام على أكتاف ذلك •• المبالغة فى الاعتراف بالخطأ ، فالاعتراف بالخطأ •• دائما يكون مصدره الشعور بالألم الذى يحدثه الخطأ داخل النفس الصحيحة ، و إن دقة الاعتراف وحدته تأتي من خلال الشعور الشديد بالإثم وكلما ازداد ذلك الشعور كلما إزدادت الرغبة فى الاعتراف ، وهو ما جعل فقهاء القانون الجنائي يتجهون إلى الاعتراف كعنصر مخفف من عناصر العقاب •• ليس لكونه أسلوب كشف للجريمة فحسب ، وإنما لكونه أيضا هو التعبير عن حالة الاستواء داخل النفس البشرية •

ونفسية كعب بن مالك رضى الله عنه لم تكن تلك النفسية التي توصف بالسوية فحسب •• بل إنها هى نموذج الاعتدال وكماله ••

كما أن الشريعة قد علمت حاجة النفس السوية إلى الاعتراف •• وسعيها إليه •• فأحاطت الاعتراف بضمانات تقيه الإكراه أو الإجبار •• او حتى الإغراء بالاعتراف وكان صلى الله عليه وسلم يناقش المقر حول إقراره •• وحول ما دفعه إليه •• وعلى هذا المعنى تواترت الأحاديث •

إن فكلما كانت الفطرة فى حال نقاء وسويه •• كلما كانت أقرب إلى الاعتراف بالخطأ وكما كانت أشد تألما وكما كانت أشد شعورا بالذنب أيضا ••

والنفس التي على الفطرة السوية هى التي تخطئ والنفس التي على الفطرة السوية أيضا هى التي تلوم نفسها عند الخطأ - وتحاسبها •• فقد أقسم الله بيوم الحساب •• وبالنفس التي تحاسب صاحبها و تلومه :

(سورة القيامة رقم ٢١،)

وإذا كانت القيامة هي يوم الحساب والنفس اللوامة هي المحاسبة لنفسها ٠٠ فإن الأمر ليجسد عظمة النفس السوية عند ربها ٠٠

ونفسية كعب كما سبق القول هي أكثر النفوس اتساقا مع الفطرة ٠٠ فكانت من أكثر النفوس لوما لنفسها ومن أكثر النفوس تألما لذنبها ومن أكثر النفوس اعترافا بخطئها فانظر معي إلى ألفاظه في يومياته وهو يتحدث عن الألم :

U- . II K4 *3 M%9-+)J m? (<U-4? *)4G))
U./ *). n \&K4 U5p! (+>: K4 U5p \$5 6<! L0 [& #8 ("%6*/%&K4
U JG 1.3- ER# *- ="!>? K4d 6!;- ,4+ 6.< K4 KQ3v *? U!>? UR)+
((c GW< =:3UG 0! &<*

وهذا تعبير دقيق يشهد به صاحب الحالة النفسية على أن القرآن وهو قول الله الحق قد وصف حالة كعب بما لا يستطيع هو أن يصف نفسه بأدق منها ذلك أن الله عليم بذات الصدور ٠

والألفاظ التي وصف بها القرآن حال كعب ومن تخلفوا معه إنما وصفت أعماقهم ودواخلهم وصفا دقيقا ٠٠ فلم يكن كعب يشعر بفسحة الكون ٠٠ رغم اتساعه أمامه ٠٠ بل كان يشعر بالسجن الكئيب وبالأفاس التي لا تتمكن من اختراق صدره من فرط ضيقه ٠٠ إنها الكناية الرائعة التي عبر فيها الصحابي عن نفسه ٠٠ فهو يشعر بألم ما كان ليتحملة بشر لولا الأمل في توبة الله عليه ٠٠ وعظم الألم قد أتى من عظم الشعور بالإثم والذنب ، وكما سبق القول كلما زادت النفس الإنسانية اتساقا مع الفطرة كلما زاد ضيقها من الإثم ٠٠ ورغبتها في الإقرار والتطهر ٠٠

ومن جانب آخر يظهر أمام القارئ معاناة كعب عند التقاء اللونين الأبيض والأسود أي المعاناة والبشرى ٠٠ الإخفاق والفرح ٠٠

فالناس لا يتسارعون بالبشرى إلا إذا شعروا بقيمتها عند المبشر بها ٠٠ بل انهم يتنافسون عساهم أن يكونوا أول من يبشر بها كلما ازدادت قيمتها عند صاحبها ٠٠ إن هذا التسابق بين الصحابة على نقل البشرى إلى كعب إنما كان سببه الأساسي هو شعور عموم المسلمين بحالة الألم التي يعاني منها كعب ٠٠ ومعرفتهم يقينا بمدى الفرحة التي ستغمره عندما تبلغه البشرى - مما ترتب عليه أن يصيح أحدهم من على جبل عال

(1.3ER#*- 6!;- {, 4+ 6.< K4D KG!3v *? U!/? UR)+)

(*+ G*.#& K%G6< n # !) وفى موضع آخر

ثم وفى موضع آخر

(O >%9) u +3U!/?%9*#G 6.<%K4D KG!dG 24+39) u*+ KR+!)

(*::! 1.- O*:%EA8G) ثم وفى موضع رابع

وإذا كنا نتناول هذا العمل الجماعي الرائع والشعور الاجتماعي الفريد فيما بعد حين نتناول نموذج المجتمع أو الجماعة .. إلا أننا أخذنا منه فى هذا الموضوع ما يشير إلى شدة الألم التي شعر بها الصحابي الجليل .. والتي فاضت منه حتى عمت على الجماعة بأسرها أما وضيقاً لحاله .. وتم عكس ذلك حينما عم شعور الفرح .. فعم الجماعة .. ولم تكن المقاطعة دليل بغض ، بل دليل التزام بأمر القيادة الرحيمة والحكيمة ودليل حب عميق ودقيق ... ذلك ان المجتمع الإسلامي لا يعرف المقاطعة العقابية أو الإبعاد عن الجماعة .. إنما يعرف فقط ذلك الأسلوب الرقيق فى المقاطعة العلاجية .. والتي تحافظ على خط الوصال بين الفرد والجماعة

h&"O@&KG Nj%.)%&-w

وإذ كان الاعتراف هو وسيلة النفس السوية لإزالة الأثقال عن كاهلها .. فإن الاعتراف هو وسيلة الحكم الصحيح على النفس الإنسانية أيضا .. فكلما اختلت الفطرة فى داخل النفس أو ضاعت سلامتها ، كلما اقترب الإنسان من الاستهانة بالإثم .. حتى يصل إلى درجة التلذذ بارتكاب الخطأ .. وهى أشد صور الضياع الفطري والتشوّه النفسى .. وعلى العكس من ذلك فإن الإنسان كلما اتفقت فطرته مع السوية التي خلق الله الناس عليها .. كلما ألمها الخطأ .. واستبد بها الشعور بالندم ..

من أجل ذلك .. فإن الإسلام هو دين الفطرة .. وهذا يعنى إنه يعود بالمرء إلى مرحلة الاستواء الفطري النموذجية من خلال مجموعات الأحكام و مناهج التربية المحددة .. وإذا قام الإسلام بصياغة النفس الإنسانية .. أو أعاد صياغتها فإن الحكم على النفس الإنسانية يكون بقدر تجاوبها مع أحكام الإسلام .. وهو نص الحديث ..

(=. UV< *)%R" S&A 9!# K"/ 2#\$/&9)T-@)

وقد منح الإسلام للبشرية بداية جديدة حينما أصلح ما أفسده انحراف أجيال عن السوية. . . طوال آلاف السنين فأصلحها في أعوام قليلة ، لينشأ خلال حياة الرسول صلى الله عليه وسلم جيل على الفطرة السليمة .

ولعله من نافلة القول أن نكرر دائماً قولنا : إن معنى الفطرة السليمة ليس هو الابتعاد عن الخطأ . . . إنما تعنى سوية الفطرة . . . أول وآخر ما تعنى هو مجرد الشعور بالخطأ . . . عند الخطأ . . . وهذه هي النفس التي أقسم بها المولى عز وجل . . .

(N&4&O>:% 2+53@!) سورة القيامة رقم ٢

والنفس الطبيعية هي التي ترتكب الخطأ أيضاً

(9!.&"%&9-^FJ%& -J! WFJ 2SM9.&6#)

وبهذين العنصرين يتكون طرفا المقص . . . فلا توجد نفس بشرية لا ترتكب الخطأ . . . وإلا لذهب الله بنا وأتى بقوم آخرين كما ورد في الحديث :

(2I% [& >j-G 9! >j"+-! 9!.:8 9- JM2!;. ("3 2#. [&EA8%9!..8' 2#3@!%)

كما أنه لا توجد نفس سوية لا تعترف بالخطأ . . . والنفس التي لا تشعر بالخطأ . . . هي النفس التي ابتعدت عن السوية بمقدار بعيد حتى انحرفت بالكلية فأصبحت لا تشعر بالإثم . . . وهي النفس التي استخدم معها القرآن لفظ (9! R1- @) في كل موضع من مواضع القرآن . . .

(9! R1- @ 9#% 9!\$+>)%&2A 2I:H@3) سورة البقرة رقم ١٢

تلك التي يبدأ عندها الأمر بقليل من الكبر يحول بين صاحب هذه النفس وبين الاعتراف بالخطأ . . . وسرعان ما يحاط الكبر بالإصرار ثم إلى مراحل متطورة تنتهي بفقدان الشعور بالخطأ وبلادة الإحساس بالذنب .

وبناء على ما سبق فإن الاعتراف بالخطأ هو سمة النفس السوية وتبدأ هذه الخصلة الجيدة . . . بمجرد الشعور بالذنب . . . والرغبة في الاعتراف وتصل إلى قمته بكامل الاعتراف بالخطأ . . .

ولكن ثمة نفوس هي الأعلى والأسمى في تاريخ البشرية . . . ذلك أنها تحمل فوق صدرها عند الخطأ أكثر من مجرد الاعتراف . . . وهو الاعتراف المشفوع بتأنيب النفس والمخلوط بعبارات الندم . . . فيؤدى ذلك إلى مزيج متجاوز وهو المبالغة في الاعتراف .

والمبالغة في الاعتراف لا يتمتع بها إلا أصحاب الفطرة السوية ٠٠ والسوية لا تكون إلا على النموذج الإسلامي الفريد ٠

وصاحب اليوميات هو الصحابي الجليل (كعب بن مالك) صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ والذي شهد بيعة العقبة ٠٠

و هو صاحب النفس السوية التي رباها الإسلام لتعود إلى فطرتها السليمة التي يقاس عليها ٠٠ كنموذج إسلامي على مر التاريخ ٠٠

فلم يكن غريباً أن تشهد اليوميات بمدى سلامة الفطرة لكعب بن مالك رضى الله عنه ٠٠ ذلك أن المبالغة في الاعتراف ٠٠ هو دليل على استواء الفطرة في أعلى درجاتها ٠٠

وللقارئ أن يلمح هذا الاستواء والمعبر عنه بالمبالغة في الاعتراف من أكثر من وجهه ٠٠ 3%I* ٠٠ إبعاد الظروف المخففة بفعل المقر ٠٠ وهو ما لا يفعله المرء في مثل هذا

الموضع عادة ٠٠

C*:-I* ٠٠ استخدام القسم للتدليل على صحة الاعتراف ٠٠ وهو ما لا يطلب في هذا الموضوع عادة ٠٠

C%I* ٠٠ تكرار الاعتراف ٠٠٠٠٠ وهو ما يستغرب في مثل هذا الموضوع عادة ٠٠

;&6R. ' ' N>>J)%&h! 1%&\$RH- @!&

إذا كان الاعتراف من سمات النفس السوية حال إعتدالها ٠٠ فإنه لم يكن أبداً مصحوباً بتطوع المبالغة في إدانة النفس أو إبعاد الأعذار عنها بفعل المعترف - فبلغة أهل القانون

٠٠ قد يعترف مرتكب الخطأ ٠٠ ولكنه في نفس الوقت سوف يذهب إلى استعراض

الظروف التي ألجأته إلى الخطأ ، أو على الأقل تكون قد ساعدت على ارتكابه أو حتى قد

يلتزم الصمت حيال الأمر فلا يتعرض له ويكتفى بمجرد الإقرار ٠٠ ولكن أن يعتمد المقر

إلى استبعاد الظروف المخففة بنفسه ٠٠ عن نفسه فإن ذلك ليكشف لنا مدى إيلام الذات ٠٠

وقوة الشعور بالذنب - وهذا هو الغريب في الأمر ٠٠

ويتجلى ذلك العقاب الفريد الذي يوقعه المرء على نفسه في يوميات الصحابي الجليل حينما

يعمد إلى إحاطة نفسه بدرع يمنع الغير من تقديم يد العون له ولو بالتماس عذر لتخفيف

الخطأ ومن هنا ٠٠ فإنه رضى الله عنه في يومياته يقول :

(]!Lj%g4' KG=:0 U>4J" 9-/ +-3@! k!53F5 9#32%K:37 .J 9) 9*#)

وكان من الممكن أن ترد ألفاظ الإقرار على غير هذا النحو .. كأن يكتبي بذكر حاله دون استخدام أفعل التفضيل - فيذكر أنه كان قويا مثلا و كان يسيرا .. إلا أن الصحابي كان يكرر أنه لم يكن أيسر .. ولا أفضل .. ويتكرر هذا الإيلام الشديد للنفس حين يقول: ([& " <K' / F5 9*4/ & =45 7\$0 UR) <*&) ' '] !Lj%&g4 KG*)I"R)

2+;%&2&J"+&- *-*C

والمبالغة في الاعتراف تتجلى حينما يلجأ المعترف إلى استخدام القسم وهو أمر لا يطلب منه حسب طبيعة الاعتراف كعمل إرادي .. يقر به المرء على نفسه .. إلا ان القارئ ليلحظ هذا الإيلام النفسى الشديد حينما يقرأ القسم فى مقدمة كل عبارة من عبارات الاعتراف .

([& " <K' / F5 9*4/ & =45 7\$0 UR) <*&) [&) (] !Lj%&g4 KG*)I"R)

وكذلك قوله عند مقابلة حبيبه صلى الله عليه وسلم :

9#' 2% P g>4J *) : (%6*;G=-\$ 9-. U+4< K' / K1)3 UV<G ' ' 6*R' 6*5 2C)
 93U-3 %*-\$%6A39) g -i \$:0 U+4< !%[& (:H- K4 : U4GP g II UR'.&\$5
 Kp " E8# ^-\$/ 2!-%&g"(S/ 9%U)4D \$,%[& K:#% ' ' ' 8R =FJ+ 9) c J3
) ! [& ' ' ' 80 9) (%9# *) ! [& ' ' ' K4D gFJ+- 93 [&9#1!-%K:0 =.
 (g:0 U>4J" 9-/ K:) +-3@! k!53U:#

وإذا نظرت إلى تكرار القسم .. علمت مدى شدة الألم . ذلك أن النفس السامية هي التي تقر بما فعلت .. والنفس الأكثر سموا ورفعها هي التي تقسم على صحة إقرارها ويكون هذا القسم نابعا من إحساسها بالذنب و الخطأ ..

h&"0@& &#" ' ' *IC%C

ويستوي تكرار الاعتراف مع القسم من حيث قيمة العرض الخارجي للحال النفسية وشدته .. إلا أنه - أي التكرار .. يأتي كمظهر من مظاهر مضاعفة لوم النفس - فانظر له وهو يصدر روايته بالاعتراف بالخطأ إذ يقول فى أول عبارة فى اليوميات :

) [&!]!Lj%&g4' KG=:0 U>4" 9-/ +-3@! k!53F5 9#32%K:37 .J 9) 9#)
(9*4/& 7&0 UR)"<&

وهذا الافتتاح لليوميات يأتي على غير موضعه المعتاد . . إذ أن السياق الطبيعي للرواية أن تبدأ بالأحداث . . ثم تنتهي بعرض الخطأ ، إلا أن الصحابي الجليل بدأ القصة بما ألح على نفسه من عذاب وإيلام . . فتكرر منه الاعتراف في كل موضع . . وكان أول المواضع افتتاح القصة . . وكأن لسان حاله يخاطب من يقرأ أن يتجه إلى القسوة في الحكم عليه . . وألا يلتمس له عذرا . .

6!\&6?>%&N)"*J

]S*>"+) ○! \$! ' ' N'.*CDV*/

لم يعد بعد الاستعراض لألفاظ اليوميات ثمة شك في سمو نفس هذا الصحابي الجليل . . ومن عجب أن يثير الاعتراف ذلك الكم الهائل من الإعجاب بتلك النفس السوية . . وعلى الباحثين والسالكين في دروب الدعوة الإسلامية أن يستخلصوا منها ما يعينهم على تدعيم المسار . . وأهم ما يجب الإشارة إليه هو :-

١. صفة الامتناع عن الاعتراف بالخطأ . . نقطة وقف لازم .
 ٢. الخطأ والاعتراف به . . طرفان لازمان وعنوان للنفس السوية .
 ٣. أثر الخطأ على النفس بين الناس ليس سواء . . ذلك أن النفوس ليست سواء .
 ٤. العلاج علم وفن لا يقوم به إلا العالمون .
- ولعلنا إذ نكتفي بتلك الحقائق فذلك لأننا في مقام الإشارة . . وعلى علماء التربية تفصيل ذلك . . وهو عملهم الأصيل وجهدهم الرفيع . . ولعلنا نكون قد صادفنا الحقيقة حينما قررنا أن الخطأ باعتباره صفة بشرية لازمة لا ينبغي أن يثير غرابة المربي، إذا ما لاحظته في سلوك تلاميذه ، كما أنه لا ينبغي أن يثير ولو تغيرا داخليا في نظرتة إلى المخطئ . . وهذا ما يجرنا إلى الحقيقة الثانية والتي تشير إلى أن النفس التي لا تعترف بالخطأ هي التي تحتاج من الدعاة والمربين إلى وقف لازم لتدبير الأمر . . فهنا يكمن الخطر الحقيقي فعدم الاعتراف هو البداية لطريق طويل نهايته أن يزين الشيطان للإنسان خطأه . . فيتحول المرء من حالة عدم الاعتراف بالخطأ إلى حالة فساد الرؤية واختلال الميزان . . فهي إذن درجات أو لك أن تقول دركات لا نهاية لها . .

إن كعب بن مالك هو النموذج الإسلامي الصحيح الذي يجب أن تقاس عليه الأمور ٠٠
وجريمته قد تصل إلى جريمة التخلف عن الغزو ٠٠ ومع ذلك فإن القائد المصطفى صلى
الله عليه وسلم لم يزد عن قوله :

(3) * &A ' ' \$;G ? D\$)

ثم أرجا صلى الله عليه وسلم أمره ٠٠ لأسباب سترد حين الحديث عن نموذج القيادة
المسلمة ٠٠ وما يجدر ذكره في هذا المقام ٠٠ هو كيفية تلقى المصطفى صلى الله عليه
وسلم لأمر الخطأ ٠٠ فهو يتلقاه كأمر طبيعي ٠٠ دون تعجب أو استغراب ٠٠ ولكنه في
ذات الوقت لم يغفل تصحيح الخطأ ٠٠ أو إعادة صياغة تلك النفس الفريدة ٠٠ وهو المعنى
الأدق ٠٠

إن على الدعاة ان يتقبلوا أمر الخطأ ٠٠ كواقع طبيعي ٠٠ وعليهم أن يتابعوا نفس المخطئ
٠٠ فهي يجب أن تكون من النموذج الإسلامي الصحيح ٠٠ في إحدى درجاته والتي تبدأ من
الرغبة في الاعتراف مرورا بالاعتراف الصحيح ٠٠ وانتهاء بالنموذج الرائع ٠٠ الذي
يبالغ في اعترافه ٠٠ قصاصا من نفسه واتساقا مع الميزان الصحيح للأمر وهنا يجب
تقدير هذه النفس السوية ٠٠ وعلى الدعاة أيضا أن يعلموا أن إصلاح أبناء الدعوة لا ينبغي
أن يتم إلا بمشروط حكيم ٠٠ يستأصل جانب الخطأ ٠٠ ولا يجور على الإيجابيات فيقلل
منها ٠٠ يكيل الأمر بكيله ويقدر في المخطئ اعترافه بفعله ٠٠ إنها مسألة لا تحتاج إلى
العلم فحسب وإنما تحتاج إلى الحكمة ٠٠

(: *C&6? > %&

N) 4+) %&NO*) < %&

تتحمل الجماعة المسلمة أكبر الأعباء في عملية التصحيح الاجتماعي . . او الارتقاء بنظرة الفرد إلى الأمور . . وهي التي تكمل دور القيادة فيما تتخذه من قرارات علاجية . . وهي التي تصوغ نظرة المجتمع للخطأ . . بصفة عامة ، بل إن استقبالتها للخطأ محكوم بقانون التربية الإصلاحية . . كما أن استقبالتها للصواب والصفات الحميدة محكوم أيضا بهذا القانون .

فهي مسؤولة على كل حال تتحمل وزرها وتحصد أجرها ولا ينبغي أن تتعامل مع الفرد بنظرة ظالمة . . وليس للجماعة المسلمة أن تترك نفسها عرضة لشهوة اللوم والتأنيب للمخطئ . . كما أنه ليس لها أن تدعى السمو والعصمة فتتظر إليه نظرة تعال واحتقار . . وليس لها أيضا أن تجعل من نفسها قاضيا يحكم ثم جلادا ينفذ . . وهذا أمر غير مقبول على الإطلاق . . وفقا للمفاهيم الشرعية الصحيحة . . فنظرة الجماعة إلى الفرد الخاطئ إما أن تدمره . . وإما أن تساعد على علاج كبوته والأخذ بيده إلى الأفضل بعد النهوض به من تلك الكبوة .

وفي المقابل . . فليس للجماعة المسلمة أن تساعد المخطئ على الخطأ . . أو تتقرب إليه تحت ستار الحب والشفقة على حساب الفهم الصحيح لأسلوب المعالجة لكونه من عيون الناس ومن سادتهم .

وفي النهاية فإن الجماعة المسلمة يجب أن تتمتع بالحساسية اللازمة في مواجهة هذا الأمر لاسيما إذا كان صاحب الخطأ قد ابتلى بالإيلام والتفريع النفسي ، وخاصة إذا كان هذا الشخص من القيادات صاحبة السبق التي تبالغ في لوم نفسها انطلاقا من سمو إيمانها . . إن نظرة الجماعة المسلمة إلى الخطأ وتصرفها مع المخطئ لا ينبغي أن تكون ثابتة أو موحدة تحت شعار العدالة بين الأفراد . . إن هذا الثبات المزعوم لا يمت للعدالة بصله . . بل هو إلى الظلم أقرب . . فالمساواة بين المختلفين ظلم . . كما أن التفرقة بين المتساوين ظلم أيضا .

فالفارق كبير بين القانون وهو القاعدة العامة المجردة . . والجامدة في نفس الوقت وبين الحركة الجماعية التي يجب أن تتسم بالمرونة والاختلاف . . حسب الحالة والشخص . .

فحركة القانون هي حركة الحكم العام انطلاقاً من فلسفة المجتمع ٠٠ أما حركة الجماعة المسلمة فهي حركة التقدير الشخصي للفرد والميزان الملامس لحالته ٠٠ ومن ثم احتضانه ومعالجته ٠٠ بجرعات محسوبة ٠٠ تختلف من شخص إلى شخص ولنفس الشخص من حالة إلى حالة فهي حركة الفتوى المستنبطة من الحكم العام ٠

وإن يوميات الصحابي الجليل كعب بن مالك تعاملت مع الجماعة من حيث الموقف بالتركيز والبيان في أكثر من موضع ٠٠ لكنها كانت أكثر بيانا عند مواقف الخطأ الجماعي ٠٠ ولم لا ٠٠ والنفس الإنسانية لا تحتاج في محنتها إلى أخطاء اجتماعية تضيف عليها الأعباء ٠٠ وتقتل فيها الاحتمال ٠٠ إنها تحتاج إلى جماعة صحيحة واعية ٠٠

يجيب على هذه الاستفهامات ٠٠ الصحابي الجليل صاحب اليوميات - كعب بن مالك ويلقي على الجماعة المسلمة درسه العظيم الذي وعاه من الابتلاء الذي مر به ٠

إنه يعلم الجماعة المسلمة ألا تسوى بين أنواع الابتلاء في المعالجة أو المعاملة ٠٠ كما إنها لا يجب أن تسوى بين الأفراد المبتلين ٠٠ كما أنها أخيراً لا يجب أن تتغافل عن ظروف ودوافع كل حدث حينما تضع له المعالجة اللازمة ٠٠ إنه أيضاً يعلم الجماعة المسلمة درسا في السلوك العام الاجتماعي والذي يجب أن يكون أكثر حساسية وهو يتعامل مع المذنبين من أبناء الحركة الإسلامية وحتى نعي هذه الدروس جميعاً ٠٠ فأننا لا بد أن ننتقل إلى مسرح الأحداث وننقل مواقف الجماعة مع الفرد في هذه الرواية وهي قد تصل إلى مواقف أربعة في اليوميات كلها ٠٠ إلا إنها قد طبعت في نفس الصحابي الجليل طباعة لا تزول أبداً ٠٠ فما كان منها على وجه الصواب سيزك بسمه على وجهه رضى الله عنه ٠٠ وما كان منها على وجه الخطأ ٠٠ سيظل يذكره حتى لو صفحت عنه نفسه ٠٠ وأهمية هذه المواقف الأربعة للجماعة المسلمة تأتي من خلال طبيعة نفسية المبتلى ٠٠ أيا كان نوع الابتلاء ٠٠ فهي نفسية لينة جدا ٠٠ ورقيقة جدا وشديدة الحساسية ٠٠ كذلك ٠٠

وان كان من اللازم أن نلقى الضوء على المواقف الأربعة فإنه من الألزم أن نشير إلى أثر كل موقف على نفسية صاحب اليوميات ٠

(9*I.% N.-j%NI<&) KGE<&! m-/? KO*)"<&u*(S) 6!\&h5!)%&

يقول صاحب اليوميات :

2!;%&KG O%< !A! 6*;G g!." B4 K"/ 24+! =-4D [&K4? [&6!+ (: #8 2%)
S 1:!! S\$. =+./ [&6!+ *- N)4+ (: 9) 600< 6*;G P ER# 6RG *) : g!.0".
@H=-4D *)4D *) [&6!+ *- [& _ U45 *) O V : 6.< 9. 8*R) 6*;G ' ' =->FO KG
(&-J

والموقف الأول ينطق بالإشارات التي لا تغيب عن الفطناء أبداً ٠٠ وخلاصة الأمر أن رجلاً من بني سلمة أساء إلى غيبة الصحابي الجليل حينما سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم -

وفى المقابل فإن معاذ بن جبل قد تصدى للأمر ودافع عن صاحب اليوميات بالألفاظ التي سبق ذكرها ٠

ومن هنا فإن الجماعة إن صمتت عن فعل خاطئ كالقذف أو السب أو الغيبة أو البهتان ٠٠ فإن خطأها يكون أهدح من القاذف أو الساب ٠٠

إن المجني عليه سيظل يذكر أبداً للجماعة المسلمة أنها صمتت بينما نهش الآخرون في لحمه ٠٠ مما قد يؤثر ذلك على النسيج الواحد للمجتمع ٠

ومن هنا فإن ما قام به معاذ بن جبل رضى الله عنه إنما هو إنقاذ للجماعة المسلمة من أن تقع في جريمة المشاركة بالسكوت ٠٠ والصمت المخزى ٠٠

إن الاستماع إلى الطعن أو التجريح مع الإنصات إلى ذلك إنما هو شهوة عند ضعاف النفوس ٠٠ والمنصتون الصامتون ربما هم لا يقومون بذلك الفعل البغيض بأنفسهم ٠٠ إنما هم يتلذذون بالحط من شأن الآخرين ٠٠ لاسيما وإذا كان الآخرون يتميزون بالصفات الجالبة للنظر والمثيرة للإعجاب ٠٠

ترى ما الذي دفع هذا الرجل من بني سلمة إلى أن يحكم حكمه على الصحابي الجليل في لحظة ٠٠ دون تحقيق أو بحث أو تحرى ٠٠ ودون أن يطلب منه ذلك ٠٠ وحتى إن حسنت نيته ٠٠ فقد ساء لفظه ٠٠

ثم إن التعبير الذى استخدمه الرجل الذى أتى من بنى سلمة كان شديد التهكم .. وهو ما يؤكد أنها ليست إجابة عن سؤال المصطفى صلى الله عليه وسلم وإنما هى إفراغ لما فى نفسه من حالة (=->FO KGS 1:!! S& . =+./)

من أجل ذلك فإن علينا أن نتصور .. إمكانية وجود مثل هذه النماذج .. التى قد يضيق صدرها بتفرد الآخرين فتنهال عليهم بعبارات قاتلة .. وهذه العبارات لن تذكر إلا فى غيبة الضحية .. بالقطع .

(وهذه النماذج قد توجد فى مجتمع الصحابة والتابعين كما توجد فى أي من المجتمعات)
ولكننا لا يمكن أن نتصور أن تقف الجماعة المسلمة أمام هذا الفعل موقف الصامت .. وإلا لكان صمتها أشد أثرا وأكثر خطرا من الفعل المؤتم .. لاسيما وأن ظهور هذه الصفات المرفوضة فى مجتمع الصحابة إنما هو ظهور بيان وعلم .
إن هذا النوع من الإساءة لن يزيد فى حجمه عن خطأ فرد .. تجاه فرد ولكن بسكوت الجماعة المسلمة .. يكون قد تحول إلى جريمة مجتمع فى حق فرد .. ولا بد أن تعرف الأمة المسلمة ولو بعد مئات السنين كيفية حماية أحد أبنائها ..
من أجل ذلك وقف المسلم الصحيح معاذ بن جبل .. وكان منه الرد الصحيح من حيث الشدة والوضوح أمام تهكم الرجل وفى الوقت الصحيح أيضا وهو ذات وقت المقال المرفوض إذ يقول :

(&-J @H=-4D *)4D *) ! [&6!+ *- [& ' ' U4*) oV)

هكذا إذا يكون الواجب الجماعي .. مثلما فعل معاذ بن جبل رضى الله عنه تماما فهو -
أولا - وصف قول القائل بأنه قول سئ بل هو الأسوأ ثم استخدم القسم وهو يصف حال الصحابي الغائب ، وفى النهاية أعطاه حقه من الوصف اللائق .. هذا هو القول الصحيح .
ولكنه لم يقف عند حد القول الصحيح بل اختار أيضا الوقت الصحيح - فلا فائدة من ادخار هذا القول الرائع لوقت غير الوقت الذى قيل فيه القول الفاسد - فالقول الصحيح فى مواجهة القول الخطأ يكون فى نفس الميدان وأمام ذات الشهود بأعيانهم ..
وحيثما يكون القول الصحيح فى الوقت الصحيح فإنه يكون علامة على أن قائله هو المسلم الصحيح .. حال كونه الشخص المتوازن فى نفسه والشديد الحماس للحق دون مجاملة أو اعتبارات ذاتية .. وهو الشاهد لله القائم بالقسط فى الغضب والرضى .

فلو تصورنا المجتمع المسلم دون كلمة ألقاها الصحابي الجليل معاذ بن جبل ولو تصورنا الرواية وهي تنقل إلينا دون هذا الحائط الاجتماعي المدافع عن حق الآخرين في غيبتهم ٠٠ لوجدنا من الناحية الأولى مجتمعا غير حريص على سلامة أفراده فضلا عن تضافره أو تضامنه مع القول الفاسد ٠٠ مما يترتب عليه في أقرب مستقبل لهذا المجتمع أن يشيع فيه أمر الحط من شأن الآخرين بغيببتهم وسوء ذكركم ٠٠ ومن ناحية أخرى فلو انتقلت إلينا الرواية دون عبارة المسلم الصحيح معاذ بن جبل رضى الله عنه ٠٠ لانفلت زمام الحزن من نفوسنا ٠٠ ولازداد التساؤل عن مدى شرعية السكوت أمام انتهاك الآخرين بالغيبة والتطاول على حرمتهم ٠٠ بل ولعل بعض البسطاء ينظرون إلى الصمت في هذه الحالة على انه حكمة ، وربما يصل بهم التخيل إلى تصويره كفضيلة من الفضائل!!

وهكذا يكون معاذ بن جبل رضى الله عنه قد أنقذ مستقبل الفهم الإسلامي الصحيح ٠٠ نعم / لقد أنقذ المسلم الصحيح بقوله الصحيح وفي الوقت الصحيح مستقبل الفهم الإسلامي الصحيح ٠٠ ولو لم يفعل ٠٠ لفعل غيره من المسلمين ٠٠ كما أنقذ واقع المسلمين وقتئذ كذلك من أن يجتهد أحدها في استحلال عرض أخيه ٠٠ فهو بذلك لم ينقذ واقع المسلمين فحسب وإنما أنقذ مستقبل الفهم الإسلامي الصحيح من الزوال أو التحريف *

E+%&N)- <. YQ E p:% ' ' *I%,)"<)%&6Y/"*+. (I:" 2C ' *I:0 \$ G U!#+. 3." NV+%&N-j%&9H*
*) *I%9!#" 93@HWp;%&K%HE+%&k!*0\$ 2S;" @ N)*R&N*-%&U/.? 3K"/ 7 ?)%&)"<)%&KG U0*1 ("&
9) N;-;/%&N*5!%&!A 2CT)%&6R%&W&SL*. 3.- k8&(0*)"<@&E*,R&93g%8 ' N?J1 U&*."0&9) *AL)-
)J%&9rG g%8 9) o#R&K4! ' ' (0*)"<@&n G %&90 -.R%&M4) @H9!%;%&*)! ' ' =0!-1 FJ
*I% \$' 2-1:"! ' ' *I%9!%;%&N/*H2i ' ' &A *.)!- K"/ *I%2I1>% o*%&W&SL&6*/ 2A *IR*.*I. *1!
("%&NO*)<%&N)- <%*-G rFJ%&u!-1 \$p (+*+\&FV*/%&!A! ' ' o*+\&!A (0*)"<@&n G %&6&*)G ' '
' ' 1.%&9) 9*# !% N'-)%&6#3*I")?. m."G ' ' =")*? KA! 6#I- U-) \$+< K%I 1:"

اللَّهُ يَا إِلَهُكَ اللَّهُذَا ضَلَّضَمَّ الْعَبِيلَ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ تَعْلِيْقِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ

إن موقف الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضى الله عنه هو موقف يزود فيه الفرد عن مصداقية الجماعة .. وهذه هي حقيقة الموقف وجوهره .. إنه لم يكن يدافع عن كعب بن مالك رضى الله عنه بصورة شخصية أو لارتباط نفسي .. وإنما كان يدافع عن واقع تطبيقي صحيح لحكم شرعي يحول بين لسان المرء وبين حرمة الآخرين .. وفى حضور الرسول وهو يترك المجال لتدريب الأمة على الممارسة الصحيحة بحضرته .. والعجيب أن روعة وجوهر هذا الموقف قد رصدها صاحب اليوميات رغم ما يعانيه من ابتلاء .. بل إنه زاد عن المجتمع بأسره .. وصحح لمجموعة من الناس افهامهم .. وحمى الواقع التطبيقي الصحيح للفهم الإسلامى ..

(9*I.% N-j% gI:" 93NO*)< &]\$/! 90 , G& ER#) ' ' (:*C&h5!)%&

ونضرب مثالين لما قام به صاحب اليوميات فى هذا الصدد .. كان الأول منهما فى مواجهة بنى سلمه أو فى مواجهة البعض منهم .. ذلك البعض الذى صاحبه بعد أن ترك مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم .. والذي أقر فيه كعب رضى الله عنه بالخطأ أمام المصطفى صلى الله عليه وسلم ، والأصل أن تكون تلك الصحبة هى العون على شدة الموقف .. وعلى الابتلاء بعبارات الصبر والتذكرة برحمة الله وعفوه .. ولم يكن من المتخيل أن تكون تلك الصحبة من أجل إثارة حفيظته رضى الله عنه وإثارة تمرده على الجماعة المسلمة .. ومخاطبة الضعف النفسى .. إلا أنه مع ذلك رضى الله عنه قد قام بالحفاظ على هذه الوحدة من أن تنتهك ، ولنتأمل ألفاظ الرواية ودقتها اعتباراً من اللحظة التي ترك فيها كعب بن مالك رضى الله عنه مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم

_ U);G ' ' g-G [&Kp;- K"/ 2;G D\$? \$;G &A *)3: 24+! =-4D [&K4? 6*;G) P &A 6.5 *:8 U.:83U:# g*:4D *)! [&:(%&%;G (:!R"*G=)4+ (: 9) 6* < *+! =-H 8'0&*). 24+! =-4D [&K4? [&6!+ K%HU 8'0&9!#" @ 93 UL<0 \$;%

' g%24+! N-4D [&K4? [&6!+ *>j"+&g.:8 g-G# 9*# \$5! 9!>4J)%&

(R) &A (:;%6A : 2I%U4 2C (+>: E8#G, < 393U))A K"/ (:!::T- &%&*) [&G : U4G ' ' g%6-5 *) 6Q 2I%6-5! _ U4* *) 6Q @*5 ' ' ' 9Y< _ 2R &%5 P \$/3 9-4< (%& #8G_ (>5&%&N)-39. 6YA! _ 7)R&,-. %&9.] &) &%5 P *)A 9)

(*)A! #8 9-/ U-p)G_]!+3*)I-G&\$ &I1 \$5 9-/-%?

وإذا ما تناولنا ما قامت به مجموعة من الجماعة المسلمة فإننا يجب أن نضعه في الإطار الصحيح وبالتعبيرات العصرية ٠٠ فهو تحريض على اتخاذ موقف غير الذي ذهب إليه كعب ٠٠ ثم إن ما قاموا به أيضا هو تهوين من أمر الذنب ، مما يوحي ولو من بعيد بوصف أمر القائد صلى الله عليه وسلم وقراره في مواجهة كعب رضى الله عنه بأنه قرار شديد ٠٠ أو على أقل بأنه أشد مما يقابل به مثل هذا الخطأ ٠٠ على حسب ما رموا إليه ٠٠ وما زال هذا الأمر يتكرر في حياتنا ٠٠ حتى يومنا هذا ٠٠ وما زالت هذه المجموعة

في كل مجتمع تردد ٠٠ (&) [*) (P & A 6.5 *:8 U.:83U:# g*.)4D)

٠٠ إلا أنها دعت الصحابي الجليل إلى طريق غير الطريق الذي ارتضاه الله لعباده ٠٠ طريق الصدق ٠٠ فانظر إليهم وهم يكررون ويلحون على مسامحه ٠٠

(=%H 8'0&*). 24+! =-4D [&K4? [&6!+ K%HU 8'0&9!#" @ 93UL<0 \$;%)

(g%24+! =-4D [&K4? [&6!+ *j"+&g.:8 g-G# 9*# \$5! _ 9!>4J)%&

إنها دعوة صريحة للخطأ الثاني ٠٠ فإذا كان الخطأ الأول هو التخلف عن الغزوة فإن الخطأ الثاني هو الأفدح ٠٠ وهو عدم الاعتراف بالخطأ ٠٠ والفرق واضح ٠٠ فالتخلف عن الغزوة يعبر عن لحظة ضعف ٠٠ تجبرها لحظات القوة التالية والتي هي الأصل في حياة الإنسان ٠٠

ولكن كتمان الحق يعبر عن حالة ضعف مستمرة ٠٠ طالما بقى الإنكار ٠٠ وهو ما يدعوا إليه البعض من بنى سلمة ٠٠

من أجل ذلك فإن البعض وربما بحسن نية - قد يدعون أصحابهم إلى الخطأ ٠٠ الأكبر ٠٠ تحت مظنة أنهم يواسونهم في محنتهم ٠٠ ولا يعلمون أن المرء لحظة الابتلاء يكون ضعيفا ٠٠ وقابلا لما يلقي إليه من نصائح ٠٠ حتى لو كانت تؤدي به إلى الأسوأ ٠٠

إن كتمان الحقيقة أو عدم الاعتراف بالذنب لجريمة لا تعادلها جريمة ٠٠ لامن ناحية الاستمراريه التي أشرنا إليها ٠٠ ولا من ناحية الدرجة القانونية أو الخطورة الاجتماعية فحسب ، ولكن فداحتها تأتي من زاوية أخرى ٠٠ فإن النفس التي تكذب ولا تقر بالخطأ أمام مجتمعها وقائدها ٠٠ ثم تحمل هذا الكذب في صدرها دون ألم أو عناء ٠٠ وتكتم الحقيقة لسنين عمرها ٠٠ لهى نفس جامدة قاسية متحجرة ٠٠ خالية من عناصر البقاء ضمن الصفوة المسلمة ٠٠

إن عدم الاعتراف بالذنب يعبر عن نفس متكبرة ٠٠ عنيدة ٠٠ قاسية القلب ذلك أن الفطرة السليمة هي التي تؤدي إلى الاعتراف بالخطأ ٠٠

ولابد وأن تقبل الجماعة بين أبنائها نفوساً تعرف الخطأ وتعرف معه الاعتراف به ، ولكنها لا تقبل أبداً من يعرف الخطأ ويعرف معه التكبر والصلف ٠

وإذا كانت فداحة ما يدعون إليه تأتي مستحيلة مع نفس كنفس كعب بن مالك رضى الله عنه ، إلا أن مجرد الدعوة إليه هو خطأ ترتكبه مجموعة من المسلمين فى حق واحد منهم ٠٠ لاسيما إذا كان يمر بالابتلاء والمحنة ، وهى لحظات الأصل فيها الضعف ٠٠٠

فعلى الناس أن يتخيروا لألفاظهم مواقعها ٠٠ ولكل ابتلاء ما يناسبه من كلمات وأفعال ، وما يقال للمريض قد لا يقال للصحيح ٠٠ وما يقال للغريب قد لا يقال للمقيم بين أهله وهكذا ٠٠

ومن هنا ٠٠ فإن النفس التي أخطأت ٠٠ وأقرت بما فعلته ٠٠ لا تستريح من تأنيب الضمير ، إنما يكون محور الابتلاء فى ذاتها هو الشعور باللوم ٠٠ وتكون دعوة المجتمع لها إلى الكذب أو الإنكار إنما هى بمثابة المزيد من الابتلاء لها ٠٠ والتعذيب والتنكيل بها ٠٠ فإذا كان هذا عذاب نفسه اللوامة بعد خطأ واحد ٠٠ فكيف يكون العذاب بعد إنكار الحق والكتمان بصورة مستمرة ٠٠

الخلاصة إذاً أن دعوة مجموعة من المسلمين لكعب بن مالك رضى الله عنه ٠٠ إنما كانت دعوة للعذاب ٠٠ أو لمزيد من العذاب ٠٠ ولم تكن للتخفيف عنه أبداً ٠٠ ولو كانت بحسن نية ٠٠ ولكن كما قال أحد الصالحين المجاهدين رحمه الله (*) ٠٠ إن هذا الجيل هو الجيل القرآني الفريد ٠

وكما وقف معاذ بن جبل رضى الله عنه مدافعاً عن التطبيق الصحيح لأحكام الإسلام ٠٠ وقف كعب بن مالك الموقف الصحيح أمام تلك الدعوة ٠٠ التي تؤدي إلى المزيد من العذاب ٠٠ فالموقف فى غاية القسوة ٠٠ والنفس المسلمة صاحبة الابتلاء العظيم تعانى من اللوم الذاتي ٠٠

وفى ظل كل هذا يجد الصحابى الجليل من يدفعه إلى الكذب حتى يصل به إلى حالة عبر عنها رضى الله عنه بقوله

E8#G 24+! =-4D [&K4? [&6!+ K%H, < 393US\$ 3K"/ (:!..T- &%E*) [&G)
((+>:

وهذا الموقف الخاطئ من جمع من المسلمين لم يزد الصحابي الجليل .. إلا ألما وترددا .. ولكن بالرغم مما سبق لجأ صاحب اليوميات إلى الصمود .. ثم التترس بالإيمان والصبر .. والتمسك بالحق .. والتترس بالنماذج المعبرة عن الواقع الإسلامي الصحيح .. إذ يقول :

: 2I%6-5! U45 *) 6Q @*5 ' 9Y< 2R &%5 P \$/3 (R) &A (;%6A : 2I%U45 2C)
' (>5&%N)39. 6YA! k)R&,-. %&9.] &) &%5 P *)A 9) U4G g%6-5 *) 6Q
(*)A! #8 9-/ U-p)G' ']!+3*)I-G&\$ &I1 \$5 9-//%? 9-4< (%& #8G
ويأتي عمق السؤال وروعته في كونه نوعاً من أنواع الاستدلال على صحة الفعل ..

(*) عنون الأستاذ / سيد قطب رحمه الله لأحد أبواب كتابه القيم " معالم على الطريق " بعنوان " جيل قرآني فريد "

صحيح أن هذا النوع من الاستدلال لا يأتي به إلا متردد أو قلق .. إلا أنه على أي حال هو النوع المناسب لمثل هذه الحالات فالاضطراب النفسي قد يشوش على الثوابت الصحيحة عند الإنسان لاسيما إذا ما استدام الطرق على الجانب الخاطئ في النفس الإنسانية .. من أجل ذلك يلجأ الشيطان إلى أسلوب الوسوسة والتكرار والإلحاح والخطوات المتدرجة .. ومن أجل ذلك أيضا ينصح الإسلام بالاستعانة والاستعاذه بالله من وسوسة الشيطان .. مع اختيار الصحبة التي تتوازن كلماتها حتى مع خواطر السوء في النفس الإنسانية ..

ومن هنا كانت الاستعانة بهذا النوع من أنواع الاستدلال وهو الاستدلال بالصالحين في أعمالهم .. هي الأسلوب الصحيح للحكم على ما انتهى إليه المرء من موقف .. حتى ولو كان موقفه بالغ الوضوح وكما قلنا فإن هذا النوع يلجأ إليه المرء في حالات معينه .. وهو ما نسميه بالتترس بالواقع الإسلامي الصحيح ..

وهذا ما فعله الصحابي كعب بن مالك .. بمواجهة همزات الشيطان في نفسه والتي عاون الشيطان فيها رجال من بني سلمة غابت عنهم بعض جوانب من حكمة الموقف وأحكام الشريعة .. فنصحوا بغير ما يجب أن ينصحوا به

(P S/3 (R) &A (;%6A)

فإذا أشاروا في أجابتهم إلى رجال صالحين ٠٠ كان هذا هو الحكم على صحة ما ذهب إليه كعب ٠٠ وهو أيضا الحائظ الذي لجأ إليه الصحابي الورع أمام نصيحة السوء وهو حائظ القدوة والأسوة ٠٠

والقدوة هي قارب النجاة إذا ما اختلط الرأي بين الناس وتلاطمت الأمواج ٠٠ وأكثر ما يقع فيه الناس من خطأ على مر العصور هو إثارة اللغظ حول الرموز والقدوة الحسنه ٠٠ لأن الناس إذا عاشوا وقد فقدوا الثقة في رموزهم وقدوتهم ٠٠ فقدوا كل شيء ولم يتقوا في شيء بعدها ٠

وكانت القدوة هي الميزان الذي وزن به كعب بن مالك الأمور ٠٠ ذلك أن مع العمرى قد أخطأ وأقر بالخطأ أمام الرسول

نعم إن هذه الصورة التي رسمها الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه للمسلمين ..
كالجسد الواحد .. تتحقق في رواية كعب بن مالك في يومياته وكأنها نوع من أنواع
التأريخ لهذه المرحلة .

وهذا الموقف الذي تعبر عنه الكلمات الصادقة يأتي في نهاية القصة وكما رسمتها كلمات
الصحابي الرقيق عن معنى الابتلاء

K4D U5*p! (+>: K4D U5*p \$5 6<! L0 [& #8 k8%&6*/%K4D 0%< *:3*):-G)
(U./ *) . n \&

وفي وسط هذا الظلام يسمع صوتا يقول بأعلى ما يمكنه .. وبأقوى نبرة ومن أعلى مكان
.. صارخا من الفرحة .. ولم يسمع كعب منه إلا كلمتين
(1.3' ' ER#* -)

وكان الرياح قد شاركت هي أيضا في تبليغ البشرى فلم يندثر الصوت مع الظلام أو يتبعثر
مع ما تبعثر فبقى هذان اللفظان (1.&ER#* -)

هكذا يجب أن نتصور فرحة المسلمين بعضهم لبعض .. وهكذا ينبغي أن نتعلم ماذا يريد
منا صاحب الابتلاء - أي ابتلاء - إلا البشرى .. لنسعى إلى تحقيقها له فإن لم نستطع فلا
نضيق عليه أبواب الأمل .. بالجهل وبالتقاعس ..

سمع كعب الصوت ولم ير صاحبه // لسبب وجيد د .. طنهاد اليشرى ..
أن ينقل إليه البشارة ويحصل على ر اللابق كتي ه الله للمبشرين ، إلهلعاد ة في
صورتها الكاملة يشغرف في الأهمحلأن ليصرخ من أجلهم معاده

ل صوته إلى صاحب الابتلاء ..

الجماعة المسلمة .. ما كانت لتفرح أبدا وواحد من أبنائها يمر بمحنة .. بل وما كان

ليمر عليها اليوم بأقل مما يمر على المبتلى من العناء والألم .. فهذا الذي صرخ كان يعلم

كيف سيتدافع الناس ل نقل البقرأرلين أن يكون له السابق .. وهو ما حدث فعلا ..

فانظر إلى ما ورد في اليوميات في هذا الصدد :

n # ! ' ' 9! 1.) (./?* 6.5 EA8! ' ') :! 1.- 0*%EA8G

>%@)u + 3D*#G%&K4KG! d24+ 3D)u*+

1.- =(!? US@1.. *A*-H="!+#G (= %UOL: (:

والآن أن لنا أن نتخيل حركة الناس وفقا للصورة السالفة بين مجموعات من المتحابين تجرى هنا وهناك وبين عشرات تتدافع إلى الصحابي كعب بن مالك وعشرات أخرى إلى صاحبيه في ذات الوقت ورجل يجرى لبيشره ٠٠ وأخر يحاول أن يسابق الآخرين إلى البشرى والكل يفكر في أسلوب لاختصار الطريق ثم يقف أحد المسلمين فوق جبل ليسارع بنقل البشرى ٠٠ بصراخ عال كي يحمله الهواء إلى كعب ٠٠ والناس في سعادة بالغة ٠٠ يتدافعون الخطوات ليصل منهم من يصل ٠٠ حاملا البشرى ٠٠ وهذه هي صورة المعاناة المشتركة للأمة الإسلامية ٠٠ وهي صورة الفرحة المشتركة أيضا ٠٠ أو لنقل إنها الفرحة الواحدة ٠٠ والقلب الواحد ٠٠

ثم يخرج الصحابي من بيته بعد أن تلقى البشرى ٠٠ فيجد ما وصفه في يومياته

' ' *!G ' ' *!G O*:& (:*;4G 24+! =-4D [&K4? [&6!+ K%U;4F:&)

(g-4D [&N!" g:I-%9!%;- N!"% (:!VI-%

ولا يجد المرء وصفا أروع مما يصف به صاحب اليوميات تلك اللحظة ٠٠ فالناس عادة يقدمون التهاني واحدا واحدا أو فردا فردا ، ولكن الأمر يختلف إذا صار المهنون شعبا بأكمله وان الأمة كلها أحست بالفرحة في وقت واحد وفي حس واحد ٠٠ فلم تجد بدا من أن تكون التهنة على هيئة أفواج يتبعها أفواج من أجل ذلك فقد تلقف الناس كعبا فوجا ٠٠ فوجا ٠٠ وهذا شأن الجموع إذا ما تزامت ٠٠ وتدافعت ٠٠ ويالها من صورة رائعة ٠٠

ان هذا السلوك الجماعي هو الصحيح في مثل هذه المواقف ٠٠ ولا أقصد بذلك مجرد التهنة ٠٠ فهذا أمر يتم حتى في المجتمعات التي خفت فيها صوت الحب الإسلامي ٠٠ ولكن المقصود بالأمر الصحيح هو ما قامت به الجماعة من تسابق بالبشرى ثم من تدافع للتهنة - يشير إلى خلاص كل واحد منهم من هذه المحنة التي عاشوها جميعا ٠٠ إن علينا أن نشعر صاحب الابتلاء ٠٠ أنه لم يكن وحده ٠٠ وأن خلاصه هو خلاصنا جميعا ٠٠ وأن الحياة ما كانت تدور دورتها العادية في غيابه ٠٠ وأن شوقنا لنهاية المحنة لم يكن أقل من شوقه في محنته ٠٠

وحتى نفعل ذلك في مجتمعاتنا ٠٠ سنظل بعيدين عن درجة الامتياز والتفرد التي تمتع بها هذا الجيل القرآني الفريد ٠٠ والذي تحقق فيه قول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم

أن : أحب لأخيك ما تحبه لنفسك ٠٠ لقد أرادوا ان يخبروا كعبا بن مالك ٠٠ أنهم يعانون تماما مثله ٠٠ وأن عودته إليهم ردت إلى الواقع طبيعته ٠٠ وبهجته ٠٠ وهذه هي مكانته بينهم ٠٠ وقد كانت شاغرة ٠٠ فعاد إليها فارسها ٠٠ كعب بن مالك ٠٠ وبالروعة هذا البعد الجميل في عالم الابتلاء ٠٠ ان الصورة التي نقلها صاحب اليوميات هي الميزان الحراري (الترمومتر) الذي يجب أن نقيس به حرارة المجتمع ٠٠ فكلما تحقق جزء منها كلما اقترب من الحرارة الطبيعية الصحيحة ٠٠ وكلما ابتعد عنها كلما اقترب من البرودة حتى إذا ما تمكنت منه ٠٠ قتلته ٠٠ ولقد أجمع أصحاب الفكر من فلاسفة الغرب ٠٠ على أن نهاية مجتمعاتهم لن تكون أبدا تحت وطأة برودة الجو والمناخ ٠٠ إلا أنها حتما ستكون تحت وطأة برودة النفس والوجدان ٠٠ وعلى أصحاب مناهج التربية في المجتمعات والتجمعات أن يقيسوا مدى نجاحهم بمقياس وحيد ٠٠ يكشف عن حرارة الاتحاد النفسى وعن حرارة المشاعر بين المسلمين ٠٠ ولا ينبغي الاعتماد على غير هذا المقياس ٠

.,.&%&h5!)%&

N)-4R' h5&!)! ' ' N%0 N)#/

وبعد هذه الفرحة الغامرة للمجتمع المسلم الذى عانى بمعاناة أحد أبنائه - وبعد هذه الصورة الجميلة فى التراحم والاندماج الوجداني ٠٠ ذهب صاحب اليوميات إلى حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم تحمله الجماعة المسلمة على أكتافها ٠٠ وتحيط به سعادة غامرة لا وصف لها ٠٠ حتى دخل على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ٠٠ وهنا يكون الموقف الرابع ٠٠ والذي يدل على حكمة عالية لصحابي جليل وهو طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه فقام إلى كعب يهرول إليه ٠٠ بينما انتظر بقية الأصحاب قدوم كعب إليهم ٠٠ وربما لم يشأ الصحابة أن يحدثوا هرجا أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لعلمهم قد رأوا أن الأوفق هو انتظار كعب ليمر عليهم واحدا واحدا ٠٠ وكلها مبررات مقبولة ٠٠ وقريبة إلى الواقع ٠٠

إلا أن الأمة في كل عصر ٠٠ لابد لها من نفر يعلمها ٠٠ بحكمة عالية وبصيرة تقفز فوق الواقع ٠٠ وفوق المقبول والمعقول ليصلوا إلى الحكمة .

فإذا كان ما فعله معاذ بن جبل رضى الله عنه وهو يزود عن عرض كعب هو حكم الشريعة فإن ما فعله طلحة هو حكمة الشريعة ٠٠ وتلك التي يؤتيها الله لمن يشاء

(W1- 9) N#/%&K'T-) &%3 @H #8 *)! &-# &-J K"!3 \$;G N)#/%&UT- 9)! W1- 9) N#/%&K'T-)
(E*.%& سورة البقرة ٢٦٩)

ولكي نتدارس تلك الحكمة فان علينا أن نسترجعها من مصدرها إذ يقول صاحب اليوميات رضى الله عنه :

=%/ O%< 24+! =-4D [&K4? [&6!+ . &G \$<+)%&U4J\$ K"/ : ER# 6*5)
[& _ (:dA! (:/G*? K"/ 6! I- =:0 [&Kp [&\$.0 9. N/4F K%#2*;G: O*:%&
(N/4F%A*+:3@! S -i 9- <*I)%&9) 6< K%#2*5*)

وإذا علمنا أن معنى الهرولة هو الإسراع في المشي بصورة قد تقترب من العدو ، إلا أنها تقل عنه ولكنها تزيد عن السير العادي بمقدار كبير ٠٠ وتحمل معنى الانفعال العاطفي في حركة السير يجسدها الحديث القدسي الشريف

(N% A ="-3K1)- (:*39H)

فإننا نكون بذلك العلم قد رسمنا الصورة الصحيحة للفعل الحكيم الذى أتى به طلحة بن عبيد الله ٠٠ ذلك الفعل الذى لا يزيد عن بعض خطوات مسرعات ٠٠ بينما انتظر الباكون فى اماكنهم ٠٠ قدوم كعب بن مالك رضى الله عنه ٠٠

أما عن قيمة تلك الهرولة فإنها تظهر إذا علمنا بعض المقدمات والذى يأتي على رأسها دراسة طبيعة المحنة التي يمر بها الصحابي الجليل كعب بن مالك فهي أولا محنة الخطأ ثم محنة اعتزال المسلمين له ثم محنة إبعاد زوجته عنه وعن بيته ٠٠ وكل محنة من هذه المحن تخاطب عزته وكيانه بين المسلمين بصفة عامه وبين قومه بصفة خاصة ٠٠ فتهد منها وتحد منها وتقلل من اعتبارها ٠٠ وقد كان هو من كان بين قومه وأهله وبين المسلمين جميعا فأتى عليه يوم وقف منه الناس موقفا ٠٠ عبر عنه بهذه الألفاظ القاسية على النفس

9) 9-. 9) NYC&*I-3*)Y# 90 9-)4+)%&24+! =-4D [&K4? [&6!+ KI:!)
(h 03 ("&KA *)Gn \&K+>: KGU #." K"/ *:%& -j"! O*:%&*..:"<*Gh4"

ومن هنا فإن اجتناب الناس لهم والامتناع عن محادثتهم جعل كعب بن مالك رضى الله عنه يظن أن الأرض ليست هي الأرض التي عاش فيها . . وتربى على ظهرها فإن أرضه التي كان يعرفها كانت تسوده وترفعه وتجعل منه علما يشار إليه بالبنان وتتسارع إليه الركبان . . كل يتهافت إلى محادثته وكل يتودد إلى صحبتته . . فلم تعد هي الأرض فعلا وليس الناس هم الناس ولم تعد الهيبة كما كانت .

ومن كل ما سبق تحدد أمر المحنة فى زوال الهيبة والاعتبار . . والعزة والمكانة . . وكان خير تعويض للنفس التي حرمت طوال محنتها من الهيبة والاعتبار هو توافد الناس أفواجا للتهنئة والبشرى . . فهذا ما كان يحتاج إليه صاحب اليوميات وقتئذ وهو العودة إلى ما كان عليه أو الشعور بذلك . . ومن تمام المعالجة أن يذهب إلى القائد فيلقاه القائد مبتسما على النحو الذى سنتناوله فيما بعد . . فى هذه النقطة

ومن تمام المعالجة أن يسعد به المهاجرون قبل الأنصار . . وأن يسارعوا إليه . . وكل هذه المعالجات الاجتماعية قد تمت على أجمل وجه . . ألا إنها لم تكن على أكمل وجه فلم يقف المهاجرون الجالسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هرول طلحة . . إن خطأ قد حدث فى نوع من أنواع التصرف الجماعي . . يقابله حكمة عالية المستوى من الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله . . فأكمل بحكمته اللمسة الأخيرة فى هذه اللوحة الرائعة . .

ولان النفس الإنسانية وقت المحنة تكون فى رقة الصلصال اللين . . فإن أي علامة سرعان ما تترك أثرها . . صحيح أن النفس قد تصفح عن أخطاء الآخرين . . وتسمو بحبها فوق أي تقصير من الغير . . ولكنها تظل تتذكر الوقائع ولو من باب الذكريات المؤلمة . .

لم يقف المهاجرون إذن . . ممن كانوا بمجلس رسول الله عليه وسلم . . ولكن وقف طلحة . . وقف لأنه يملك الحكمة . . فهو قد فطن إلى الأولويات وفقهها . . وما يحتاجه الآخرون . . فيعطيه لهم .

فالمبتلى بالمرض يحتاج إلى من يشعره عند الشفاء بأنه قد عاد أصح مما سبق وأن يمتدح حالته وعافيته حتى وإن بدا عكس ذلك .

وهنا يأتى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن يعود مريضا (:< \&KG =%&+> 6) أي أمدوه بالأمل فى طول الأجل .

وأيضاً من الحكمة كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نردد أمام المريض ما يرفع عنه الأوهام وأن نصفه بأحسن الأوصاف بكل ما تحمله كلمة (لابأس) التي كان يرددها صلى الله عليه وسلم إذا ما عاد مريضاً •• لابأس •• طهور •• وعلى هذا النحو تيسر الحكمة مع سائر العباد حين يرفع المولى عنهم امتحانه برحمته بين امتداح لحاله والتعبير بالكلمات المناسبة ••

فعودة الغريب إلى داره يجب أن ينتقى لها الألفاظ والأفعال التي تعيد إليه ثقته في نفسه وأنه المأمول بين الناس وأنهم إذ افتقدوا وجوده لم يعوضهم عنه إلا العودة ••

ولم يكن كعب بن مالك يحتاج إلا لهذه الحكمة العالية •• وأن يهرول إليه المهاجرون كما هروا طلحة •• وأن يقولوا بفعلهم ما لا تقدر عليه آلاف الكلمات ••

فمن هروا إلى كعب كان يؤكد له عودة مكانته بين قومه واسترداد هيبته •• فالهرولة قد تعنى الاشتياق ولكنها تعنى أيضاً الاحتياج وتعنى التوقير •• وتعنى عودة الأمر على ما كان عليه •

ورب قائل إن المهاجرين لم يرتكبوا إثماً بانتظارهم قدوم كعب بن مالك إليهم •• وهذا صحيح •• إلا أن المقام ليس مقام الآثام أو الذنوب أو المباح أو الجائز •• بل هو مقام الحكمة العالية التي تخدم الجسد الإسلامي بإضافة طبقات صلبة لحمايته •• ولزيادة رونقه وروعته وتحسين أدائه في أجمل الصور •• إنه مقام من يملك أدوات المعالجة •• وهو عمل تقوم به الصفوة ممن آتاهم ربهم درجة الحكمة •

ولنا أن ننظر إلى عبارات الصحابي الجليل صاحب اليوميات وهو يؤكد أنه لن ينسى هرولة طلحة •• وكأنه يقول ببلاغة العرب •• ولن ينسى معها أن غيره لم يفعل •• ذات الفعل الجميلة •• واستنتاج ذلك سهل يسير إذا ما طالعنا ألفاظ اليوميات عند هذا الموقف إذ يقول :

K%H2*;G ○*:%&=%/ ○%< 24+! =-4D [&K4? [&6!+ &&G \$<+)%&U4J\$ K"/)
6< K%H2*5 *) [& _(:dA! (:/G*? K"/ 6! I- =:0 [&Kp [&\$.0 9. N/4F
(N/4F%A*+:3@! _ S -i 9- <*I)%&9)

صحيح إنه لن ينساها لطلحة وصحيح أيضا إنه لم يهملها بشأن من كانوا بالمجلس ولم يهرولوا كما فعل طلحة - فلن ينسى هذا ٠٠ ولا ذاك أيضا.

قد يسامحهم ٠٠ وقد لا يحمل ضغينة بين جوانحه وهذا هو الصحيح في اعتقادنا عن هذا الجيل الفريد ٠٠ ولكن ستبقى لطلحة بن عبيد الله تلك العلامة الرائعة في نفس صاحب الابتلاء ٠٠ فخلدت في رواية ٠٠ تروى حتى قيام الساعة ٠٠ ويعلم منها المسلمون الحكمة ٠٠ فيعلمون ويتعلمون ٠٠ ويعلمون ٠٠

لم يكن جديدا بعد ذلك أن نذكر طلحة ، فهو طلحة بن عبيد الله أحد العشرة الذين بشرهم الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم بالجنة ٠٠

' ' N/4F =-G\$<!- @ ' ' ,)"<)%x!.: YG

\$V*;%&c8!): : *C%&

الدولة الإسلامية على مر العصور تقوم على أقدام راسخة واعمدة ثابتة من أهمها الشعب والقيادة ذلك أن الحاكم هو القائد في الجماعة المسلمة ٠٠ وهو في ذات الوقت الرمز والقوة التي ينظر إليها عموم الناس ٠٠ فيصلحون بصلاحها ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب هو حرز الأمة من الشيطان ، وكذلك كل قائد صالح هو حرز لأمة من الشيطان وفي يوميات الصحابي كعب بن مالك رضى الله عنه إشارات عديدة إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم كقائد لهذه الأمة وحاكم لها وتبين الإشارات علاقته صلى الله عليه وسلم بأمة ٠٠ وكذلك بالصفوة التي صنعها الله على عينه سبحانه وتعالى ٠٠ ومن أهم هذه العلامات التي سنتوقف عندها قليلا نظرتان إلى قائدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم @!3

EO/)%&\$V*;%&:

KO.)%&\$V*;%&: *-*:C

E/)%&\$V*;%&: @!&

جميل أن نرى بين ثنايا اليوميات حب الجنود لقائدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد تجلى هذا كما سبق القول في كل جانب من جوانب محنة كعب بن مالك والتي أضاف إليها حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبيعة خاصة وشوقا مميزا ٠٠ ومحنه فوق محنه ٠٠ ولكن الأجل والأروع هو أن نلاحظ بين ثنايا اليوميات حب المصطفى صلى الله عليه وسلم لجنوده ٠٠ حبا جعله صلى الله عليه وسلم يتابع أمورهم ويشفق عليهم ويألم لألمهم ٠٠ حين يتابع المصطفى صلى الله عليه وسلم أصحابه خشية أن تزل قدم بعد ثبوتها ٠٠ وإشفاقاً عليهم من غضب الله عز وجل ٠٠ أو البعد عن الصراط السوى ٠٠ إنه الحب في أعلى صورة ٠٠ فالقائد يجلس ليسأل عن أصحابه وأحابيه واحدا واحدا حين يفتقدهم ٠٠ وفي مكان المعركة وساحتها يسأل صلى الله عليه وسلم

(P ER# 6RG*)

وفي موضع آخر يفتقد واحدا منهم ٠٠ فيتمناه أن يكون :

(NGJ *.39#)

وكانت هذه العاطفة هي مفتاح النجاح والتوفيق والسيادة في المجتمع الإسلامي الأول ٠٠ حب الجنود لقائدهم ٠٠ وحب القائد لجنوده ٠٠

إن حب القائد تنطق به كلمات اليوميات ٠٠ والحب هو النتاج الطبيعي للمنهج السليم ٠٠ بل هو وسيلة الحكم الوحيدة على نجاح أي منهج فردي أو اجتماعي ٠٠ ونجاح أي جماعة مسلمة مرهون بالنظر إلى الحب فيها ٠٠ ومدى تأصله بين نفوس أفرادها - فالجماعة المحبة ٠٠ لا يحسد بعضها بعضا ولا يغتاب بعضها بعضا ولا يقاثل بعضها بعضا ٠٠

ولأن القائد هو فرد من الجماعة فهو لا يزيد عنها بقدره ، ولا يعلو عليها بهامته ولا يختلف عنها في قلبه ، فبين جوانح القائد قلب نابض بالحب حتى فاض على الجنود ٠٠ وهو النموذج الإنساني الذي يجب أن يكون الحكم على المجتمعات بقدر ما اقتربت من هذا النموذج أو ابتعدت عنه ، والقائد حينما يعاقب أو يربي فهو يتخذ القرار بعقله المستجيب لنهج الله تعالى والمتلقي لأحكامه ٠٠ ويستقبله أيضا بقلبه المحب الذي يتمنى للجندي ان ينجح في الاختبار وأن يعود إلى درجات الامتياز والتفرد ٠

لم يكن القائد يطبق عقابا جامدا على كعب بن مالك رضى الله عنه ٠٠ وإنما كان يعيد صياغة نفس من جديد على النحو الذي سيلي بيانه عند الحديث حول حكمه القائد ٠٠ وإعادة الصياغة لانتم بأحكام عامة مجردة جامدة ٠٠ إنما بمعالجة الطبيب المحب الشفوق

على من وضعه الله أمانة بين يديه وأطلعته على عيوبه لا لفضحه ولكن لعلاجه ، إن هذا الكم من الحب هو الذى يضمن نجاح الاختبار ويقوى نفس الجندي على مقاومة الابتلاء . . . لقد عبر كعب بن مالك عن ذلك الحب تعبيراً مس شغاف القلوب فى صورة رائعة بين القائد والجندي :

6!53!]Y?%&SR =+4k) KG !A! =-4D 24+dG 24+! =-4D [&K4? [&6!+ K"M)
(P@ 23K4D 2Y+%&\$. =->1 g / 6A (+>: KG

وينتهى عند هذا الحد المشهد النفسى الأول والذي يدور داخل نفس الجندي حينما تستبد به الحيرة . . . حول قائدة وحببيه . . . سائلاً ما إذا كان صلى الله عليه وسلم قد رد السلام . . . أم لا . . . ويبقى ما قاله عن حب القائد له وهو الأهم فى المعالجة

U>"&&H K%#6.53 ("Y? K4D U453 &G 1:%&=5 *+*G =:) *.- 5 K4? 3 2C) فيقول
(K:0 n 03S!/:

ما أجملها من صورة . . . إنها صورة الحب الخالص . . . وما أروعها من قائد محب . . . ما تمنعه صرامة إجراءات العلاج ودقة تنفيذها من أن يلبي نداء قلبه تجاه الجندي المحبوب . . . لأنه يحب جنوده ويبادلهم حبا بحب . . . وإذا كان صلى الله عليه وسلم هو الذى أمر بمقاطعة الثلاثة . . . إلى أن يقضى الله فى أمرهم إلا أن هذا الأمر لم يصدر عن غضب أو ضيق إنما صدر عن عدالة وقيادة . . . وحكمة وتربيته . . . وحب . . . فهى عدالة لأن كعباً ومن معه هم من المسلمين رغم مكانتهم . . . متساوون مع عامتهم فى الحقوق والواجبات . . . وهى قيادة . . . لأن الجندي الذى ثقلت به قدمه عن معركة . . . يحتاج إلى إعادة صياغته وإلى تدريب نفسي جديد . . . ليعود إلى مستواه الإيماني . . . فالجندي لابد وأن يحمل قلب مسلم قبل أن يحمل سيف مسلم . . . ورغم هذه العدالة وهذه القيادة . . . فقد سكن معهما جنباً إلى جنب حب عميق نادر المثال . . . يجعل القائد ينظر إلى الجندي فى شفقة . . . ثم سرعان ما يلحظ صلى الله عليه وسلم أن الجندي قد انتهى من صلاته فيعود بوجهه إلى الجانب الآخر . . . والجندي يسارق قائده النظر . . . والقائد يمنع نفسه من النظر إليه رغم رغبته إليها حتى إذا أقبل الجندي على صلاته . . . نظر إليه القائد شفقة ومحبة . . . فإذا ما نظر الجندي إلى قائده صلى الله عليه وسلم التفت بوجهه إلى جهة أخرى . . . وهكذا ، وليس فى الروايات أدق من تعبير كعب بن مالك على النظرة المحبة

(1:5 *+dG)

وليس فى الروايات أدق من تعبيره رضى الله عنه عن نظرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(4%6.53)

ويا لرفقة التعبير عن نظرات المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى أحد جنوده الأحياء فالإقبال أعم وأشمل من النظر ٠٠ ذلك أن الإقبال يشير إلى حالة النفس وقت فعلها ٠٠ وهو تعبير عن شدة الصفاء والمحبة وهو أعلى من مجرد النظر وبعد هذا التعبير الرائع لن يدور السؤال حول نظرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وما إذا كانت نظرة عتاب أو ضيق أو لوم شديد وإنما كانت نظرة الإقبال النفسى فى أسمى معانيها ٠٠ وفى مزيج من الحب والشفقة والحنان ٠٠

إن فى حب الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته سر البقاء والخلود ٠٠ سر القوة والانتصار ٠٠ ولأن الحب هو الرحمة ٠٠ ولأن الحب هو الرأفة فإن القرآن قد منحهم لقب الرحماء حينما وصلت الوشائج بينهم إلى مستوى الرحمة

(2I:-. W) / *#&K4 W\$1 &=R) 9-8& [&6!+ \$) /)
2-/ h!T 9-:)T)% 2#4 b - / 2':0 *) =-4 L-LO 2##+:39) 6!+ 2##< \$;%
(سورة التوبة الآية ١٢٨)

ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان رؤوفا رحيفا بأمتة ٠٠ فإنهم قد أصبحوا رحماء بينهم إنها محبة القائد لجنوده وقد فاضت فغمرتهم وهى التى صنعت هذا الجيل القرآنى الفريد والتى يصح بعدها أن نطالب أى قائد لم يجمعه مع جنوده رباط الحب ٠٠ بأن يترك موقعه فوراً ٠٠ فطاعة القائد وحبه مزيج واحد ٠٠ لا ينبغي أن يغيب طرف منه أبداً
2I:0 h0*Gg% / 9) &p>:@ E4%1-4 *1G U:# !% 2I%U:% [&9) N) / *.G)
(9-4!")%E/- [&9H [&K4 6#!"G U)LO &&G)\&KG 2A !*1! 2I% >j"+&
سورة ال عمران الآية ١٥٩

(.)%&SV;%*-*C

التربية تحتاج إلى الحكمة ٠٠ والحكمة تقتضى استخدام كل السمات الإنسانية للقائد فى مزيج واحد ٠٠

وتباين المواقف هو الذى يفرض تباين استخدام السمات التربوية للقائد ومن المعلوم أن القائد المربي ٠٠ يختلف تماماً عن القائد العسكري الذى يقود حملة محددة كما يختلف عن

أصحاب المهام والمسئوليات المحددة ٠٠ وهو على وجه العموم أشمل وأعم فى المهام ،
والحكمة مطلوبة فى الكثير من المواقف القيادية إلا إنها عند القائد المربي تعد من أهم
الأسس والعناصر التي يجب أن تقوم عليها شخصيته وعلى من يتولى مسئولية القيادة أن
ينظر إلى الجانب التربوي الذى تتضمنه تلك المهام ، ذلك أن المزج بين السمات هو
كالمزج بين عناصر الدواء ٠٠ فلا ينبغي أن تزيد نسبة اللين فى موقف عن القدر المطلوب
إلا أنه فى موقف آخر قد يكون الحزم هو سيد الموقف وصاحب النسبة الأعلى ويكون اللين
هو الأمر اللازم للحفاظ على سلامة العصا ٠٠ وحتى لا تتكسر فلا يصلح لها التقويم بعد
ذلك ٠٠ ولأن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم هو النموذج المقاس عليه ٠٠ فمن
العقل أن نتدبر رحمته بأصحابه ومن العقل أيضا أن نتدبر حزمه فى تطبيق الأحكام
ومعاقبة المخطئ ٠

وكثيراً من القادة يظنون أن الحزم فقط هو أساس القيادة فيغالون فى تقديم قيادة من سمة
واحدة تقتل المريض ولا تعالجه ٠٠ وهم إذ يرتكبون ذلك الخطأ يستترون خلف النظام
والقواعد والقانون والمبادئ وغير ذلك من العناوين البراقة إلا أن اللين وحده أيضاً قد يقتل
المريض كذلك ٠٠ لاسيما إذا تم تجاهل نسبة الحزم المطلوبة والجدية فى تطبيق الأحكام ٠
وقد يستتر أيضا أصحاب هذا الأسلوب خلف عناوين أكثر إبهارا من سابقتها كالرحمة
والتأخي والمودة والرفق ٠٠

إن المزيج الصحيح لا يصدر إلا من قائد صحيح ٠٠ لا يكون لمزاجه الشخصي أي دور
فى تكييف المواقف أو تقدير الأشخاص ٠٠

فالموقف هو العنصر الأول من عناصر التقييم ويأتي بعده الشخص وطبيعته وتاريخه
ومكانته فهى العناصر التالية من عناصر التقييم ومن خلالها يتم وضع المزيج المناسب
لمعالجة مرتكب الخطأ ٠٠ إلا أن المزاج الشخصي* للقائد ليس هو الآفة الوحيدة التي يجب
علاجها أين وجدت بل قد يكون أشد منها الطبيعة الشخصية للقائد التي لا تحسن مزج
السمات والأساليب التربوية - ولو بحسن نية - وهو تصور شخصي يعود إلى قلة
الإمكانات فى هذا المجال ، فالقيادة قدرة وملكة ٠٠

وفى قصتنا فإن استعراض الوقائع عند المصطفى صلى الله عليه وسلم كان هو المقدمة
العادلة لصناعة المزيج المقابل لمعالجة المرض ٠٠ إن القائد هنا هو الطبيب الذى قد لا
يعاقب المريض على ارتفاع حرارته وإنما يلجأ إلى معرفة أسباب ارتفاعها فيعالجها ٠٠

وهنا فقط يفرض الطبيب على المريض إقامة جبريه لمدة محددة أو العزل عن الأصحاء
 ٠٠ أو غير ذلك فإن القائد المربي هو الطبيب المعالج ٠٠ والأب الشفوق والام الرؤوم
 والقاضى العادل والأب الحازم ، وكل ذلك فى وعاء واحد ومزيج واحد متفاوت المحتوى
 فى قوته او لينه حسب الحالة والشخص ، ويجمع بينهم وعاء الحب فى نفس القائد والذي
 سبق أن أشرنا إليه حينما ينظر صلى الله عليه وسلم بطرف عينه حبا وإشفاقا على صاحبه
 ومع ذلك يصدر القرار إليه باعتزال الناس واعتزال أهله بوضوح وصرامة .
 ثم هو هو صلى الله عليه وسلم يبشر صاحبه بتوبة الله عليه

(g)3g"3% 8) g-4D) 2!- -J. 1.3)

وتأتى التهنة بعبارات تكسوها المحبة أو هى عادة مما تتداول بين الأحبة والأصحاب ٠٠
 ثم هو هو صلى الله عليه وسلم الذى يستتير وجهه من فرط سروره بتوبة الله على صاحبه

* يقصد بالمزاج الشخصى - الهوى

*:#!) 5 NRF5 =:d# K"/ =I<! *:"+& + 8H24+! =-4D [&K4? [&6!+ 9*#!)
 (g%=:) h R

ومن هنا فان المهمة التي ألقيت على عاتق الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم مهمة
 ذات وجوه ثلاثة -I%3* وضع العلاج المناسب لمثل هذه الشخصية ٠٠ شدة أو لينا ٠٠
 *I-:C - مراعاة حجم الابتلاء الذى وقع فيه الصحابي بما يعانیه من لوم ذاتي وشعور
 فياض بالندم ٠٠ فما كان الوجه الأول وهو العقاب ليعيش فى منعزل عن الوجه الثاني وهو
 واقع الابتلاء الذى يمر به الصحابي - أما!%&=<^%C% فهو المطلب الأساسى من العقاب
 أو الابتلاء ٠٠ أو كافة الإجراءات الأخرى وهو إعادة صياغة تلك النفس الراقية لتعود إلى
 رقيها السابق او أعلى منه ٠٠ فلم يكن العقاب فى حالتنا لمجرد العقاب ٠٠ كما أن شدة
 الابتلاء لم يقصد منها إلا إعادة البناء وهو الهدف الذى يجب أن يسير إليه العلاج مع
 الابتلاء ٠٠ ومن هنا سيتم بعون الله مناقشة الوجوه الثلاثة (cYR%& - W".@& - JS*O&
 Ni *-?%&) التي نظرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوفق بينها وأخرجها فى وعاء واحد
 وهو وعاء الحب .

cY000R&- 3

فأما العلاج ٠٠ فبدأ بقوله صلى الله عليه وسلم :

(g-G [&Kp;- K"/ 2;G)

ثم يتطور (NYC&*I-3 *)Y# 90 9-)4+) %24+! =-4 [&K4? [&6!+ KI:!

(h 03 ("&KA *)Gn \&K+>: KGU #:" K"/ *:%& -j"! o*:%&*..:"<*G

ثم يصل العلاج إلى ذروته حين يأمر المصطفى صلى الله عليه وسلم بالعزل بين الصحابي وزوجته

24+! =-4 [&K4? [&6!+ 6!+ &H9-+)J%9) =4%9!R 3Up) &HK"/)

(g"3)&6L'R' 9*. g)d 24+! =-4 [&K4? [&6!+ 9&: 6*;G (-:"d

وهذا أمر خطير يثير تساؤل الصحابي عما إذا كانت زوجته قد أصبحت لا تحل له ؟ أم سيفرق بينهما ؟ أم أن هذه مقدمة للحكم على سلامة دينه وعقيدته ؟

WY00".@&- E

وأما الابتلاء فيكفي ما وصف به الصحابي الجليل حاله

(M4%9-+)J g% K4D *:C4Gh 03 ("&KA *)Gn \&K+>: KGU #:" K"/)

ثم يحاول أن يحدث مسلماً قريباً إلى نفسه ولعل قرابته تشفع له فيرد عليه حديثه أو يسامره
!A! SS*5 K.&FV/ &< U !+" K"/ U-1) o*:%&!> 9) g% K4D 6*F &HK"/)

(2Y+%K4D \$ *) [&G=-4D U)4-GK%Ho*:%&E/3 ()0 9.&

ولا ينسى الصحابي الجليل أن يذكر اثر الابتلاء في أصحاب المحنة والابتلاء وهو هلال بن أمية فكأنه يريد أن يصف حاله أيضاً ٠٠

(S)39) 9*# 8) (#.- 6& *) [& ` 1 K%IN# / =. *) [&)

ولكن الابتلاء العظيم لم يكن في مخاصمة الناس للصحابي الجليل بل كانت تلك المخاصمة هي أول درجات الابتلاء أما قمتها فكانت عندما حاول إبليس عدو الله استغلال الموقف واستغلال ما قد يتصوره في النفس الإنسانية من ضعف فيختار - لعنه الله - لحظة استنكار الناس لكعب وهو العزيز بينهم ومن أعلى الناس نسبا لي طرح عليه الكفر بدلا من الإيمان تحت حماية نقطة الضعف والتي هي إنكار الناس لعزة كعب ومكانته فيمنحه البديل النفسى فى ذات اللحظة التي يتصور احتياج المؤمن لها ٠٠

إنها لعبة الشيطان المتكررة على مر التاريخ ٠٠

ومارسها الشيطان على الصحابي في كلمات لا تزيد عن عشرين كلمة .. أرسلها له ملك
غسان .. (3) *G SR *) 93 (j4 \$5 =: *G SR *) 3) @! 9&A & [&g4R- 2% _ g* < \$5 g./ *? 93 (j4 \$5 =: *G SR *) 3)
(g+&: *.. D/%G_ NRp)

وهذه الكلمات أرسلها ملك غسان في قطعة من الحرير لتسلم إلى يد كعب بن مالك رضى
الله عنه .. من عدو للمسلمين يدرس جبهتهم الداخلية بدقة لعله يجد منفذا ، وتكون قوة هذا
الابتلاء في أمور ثلاثة أ*%I - وقت الابتلاء *I-% - يكمن في شخصية مرسل
الرسالة ، أما *IC% فيكمن في الواقع الذى يحيط بالابتلاء

W".@&U5! - 3

فأما وقت الابتلاء فقد أتى عقب صدور القرار الاحتياطي - إن صحت التسمية - بمقاطعة
الثلاثة الذين خلفوا .. ويضاف على ذلك ما أصاب كعبا بصفة خاصة .. إذ يتسور جدار
حائط أبى قتاده وهو ابن عمه ثم يستحلفه بالله أن يجيب عليه سؤاله .. فلا يرد .. ويزداد
الأمر صعوبة حينما يأبى ذلك الأخ والقريب حتى أن يرد على كعب سلامه
) !A! SS*5 K.3FV/ &< &

وأما عن مرسل الرسالة فهو ملك غسان ٠٠ فلم يكن رجلاً من البسطاء أو العامة ٠٠ بل كان ملكاً قادراً على إنجاز وعده ومنح الصحابي ما افتقده من عزة وكرامة حسب ما يوحي الشيطان للنفس الإنسانية وقتئذ ٠٠

وبغض النظر عما سيحققه ملك غسان لنفسه من منافع إلا أن عبارات الرسالة لا تشير إلا إلى المنافع التي ستعود على المبتلى صاحب اليوميات رضى الله عنه ، وأما ما يعود على ملك غسان فقد أخفاه في نفسه

D/%GNR p) @! 9&A & [&g4k- 2% g* < \$5 g./ *? 93 (:j4 \$5 =:iG SR *)3)
(g+&: *..

وهي كفيhle بإثارة مشاعره ومخاطبة عناصر النقص في نفسه كما أن مرسلها قد أحسن اختيار ألفاظها ٠٠ فانظر إلى الدقة في اختيار لفظ (صاحبك) ومعه في السياق لفظ (جفاك) ولسان حال الرسالة يتعجب هل يكون صاحبك من يجافيك ؟ ! وهو المعنى المقصود ، ثم انظر إلى استخدام عبارات (الهوان) و (المضيعة) ولا ينسى ملك غسان أن يضع الإطار المقبول لهذه الرسالة وهو الإطار الذي سيسهل على النفس امتصاصها وقبولها ، وكان الإطار الإيماني هو التعبير عن الأرضية المشتركة ، أو قل ان شئت ستار الأرضية المشتركة ٠٠ الذي قد يبعد عن النفس الإنسانية شكل الخيانة أو اللجوء للآخر من غيرنا ٠٠ فهو فخ وشرك ينصبه الشيطان مستعملاً أحد جنوده من البشر ٠٠٠ كل هذا تحققه عبارة (ولم يجعلك الله) والتي يستخدم فيها لفظ الجلالة لإضفاء اللون الإيماني على رسالة الخيانة والتمرد ٠٠

كما أن توقيت الانتقام للذات من الجماعة كان اختياره دقيقاً ٠٠ فهي ذاتها تلك اللحظة الضعيفة التي تدفع الانسان الى اللجوء إلى أعداء الجماعة الصالحة ٠٠ تحت دافع خفي وهو الانتقام للذات وإن كان لظاهر التصرف دائماً مظلة تخفي حقيقته حتى عن نفس المرء أحياناً ٠٠

WY".@&, 5& - 0<

أما عن واقع الابتلاء فلا تلخص أيام المحنة إلا كلمات الصحابي الجليل كعب بن مالك والتي تصف حاله وقت عرض الرسالة

(n \&K+>: KGU #:" K"/)

وأما عن حال الناس معه (G*O) حتى هؤلاء الذين كان يحسن إليهم ويتصدق عليهم . . امتنعوا حتى عن سؤاله أو الحديث معه . . وعن المقربين إليه من الأصدقاء والأقارب فقد حدث ما لم يتوقعه . . إنهم يتخرجون حتى في رد السلام . . ثم إن الأمر في حالة تعليق . . فلا قد صدر عقاب ولا قد انتهى الموقف عند حد . . فضلا عن ذلك فقد طالت المدة . . حتى بعد ان تلقى الرسالة فقد استمر واقع الابتلاء ليزداد باعتزال امرأته . .

إنه ابتلاء عظيم صنع واقعا مرا أليما . .

تلك العناصر الثلاثة للابتلاء والتي أوجزناها في وقت الابتلاء وصاحب الرسالة ودوافع الابتلاء شكلت ذلك الحجم الضخم أمام الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يربى أحد رجال الصفوة من الصحابة المقربين . . . ومع ذلك فقد نجح القائد في إعادة صياغة الجندی المتميز كعب بن مالك .

Ni *-?%]*\$OH: \$

وهي المهمة الثالثة على عاتق الحبيب المصطفى . . إنها أشبه بإعادة السلاح الفعال إلى فعاليته السابقة إذا ما أصابه صداً - ولو قليل - ومعالجة الأمر بصورة سريعة تتناسب مع متطلبات الموقف . . ولا ينبغي أن تطغى السرعة على الوقت اللازم للمعالجة . . فالمطلوب هو إنجاز المهمة ولكن في وقتها المناسب .

وقد علم الطبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم أن نفسا كنفس كعب ما كانت لتجنح إلى الدنيا بأي قدر وأن ما ملكه من أرض وحدائق إنما ملكها في يده ولم تملك هي قلبه ولو بقدر قليل ، ومع أن الامر قد اختل في نفسية كعب ولو بنسبه قليلة . . إلا أن ذلك لم يؤثر في طبيعة كعب الصادقه .

ومعطيات الحالة ودوافعها عند المصطفى صلى الله عليه وسلم - تصل إلى درجة اليقين من حيث الصحة - فالصحابي صادق

(D\$? \$;G&A *)3)

ولم يكن في واقع الصحابي المادي ما يمنعه . . وليس لديه سبب من أسباب الإعفاء من الغزو والمنصوص عليها شرعا

(g:0 U>4" 9-/ K:) +-3@! k!53U:#*) [&!)

ومن هنا فان العلة قد كمنت داخل النفس الإنسانية ولم تكن خارجها . . وليست نفس كعب بن مالك كأبي نفس . . فهي الحصن المنيع أمام سهام إبليس وحيلته ، فمن أين اخترقت تلك القلعة الصامدة ؟

إن كعبا في يومياته يقر بأن الشيطان قد غزاه باستخدام طول الرجاء والأمل وتسويق ما حان وقته حتى يفوت زمانه ووقته

(*V1 7L*I< 9) n 532G=R) 9!)4+)%& [&6!+ m?*G)

ثم المبالغة في الإرجاء حتى أضيق الأوقات

2% UOR< GLI<"\ &4? G93SR U!\$jG_ 2I;/%2C9-)!- !32!- SR LI<"3U4G)

(*V1 n 532% UR< 2CU!\$i 2C*V1 n 53

وبعد هذه المغالبة والمصارعة . . أعلن إبليس انتصاره في جولة من أهم الجولات

2G U4RG (:-% 2I# \$G 6/" 3 93 U))A! _!Lj%&F *!"! &0 +3K"/ (. 6L- 2G)

(g% (% \$;-

وكان على الحبيب المصطفى أن يعود بهذه النفس البيضاء النقية إلى سالف عهدا ، وإذا كانت هذه النفس اللوامة تبحث عن خلاصها من ذنبها . . فلم يكن من المفيد أن يعود إليها طوق النجاة في ذات لحظة الخطأ دون أن تطهر نفسها باللوم وعذاب الانتظار . . فكان الوقت هو المدخل الأول لإعادة الصياغة والتربية، وكان هو الوعاء الذي احتوى طرق العلاج المتباينة . . وبدأ الوقت مع شهادة الصدق . . بل واعتمد على طبيعة الصدق في نفس كعب كركيزه للعلاج .

(g-G [&Kp;- K"/ 2;G ' ' D\$? \$;G&A *)3)

وكانت هذه هي المرحلة الأولى

ثم استمر الوقت لمدة أطول للعبور إلى المرحلة الثانية

(9-+)J%&9) N4%9!R 3Up) &HK"/)

ثم انتهى الوقت عند تمام العلاج والمرحلة الأخيرة

(=4%9-+)J g% K4D *:C4G)

ومن خلال تلك الفترة الطويلة . . بدأت جرعات العلاج ، فعلى الإنسان أن يعلم أن عزته ومجده وهيبته لا يحددهم إلا مدى الولاء إلى أمته المسلمة . . وأن التمايز والتفاخر بالجاه والسلطان إنما هو تفاخر وتمايز لا أصل له في المجتمع المسلم كما أن مرده على النفس

الإنسانية يكون بإضعافها والخط من إرادتها ٠٠ وكان على الطبيب وهو يعالج أن يظهر الفارق للصحابي بين الحالتين ٠٠ حاله يملك الانسان فيها مالا في يده فلا يؤثر على قراره الإيمانى ، وحاله تخاطب فيها الأموال قلبه وتصنع زهوه وتثقل من قدميه إلى الأرض فيبتعد عن الجماعة كأول صورة من صور الشعور بالتميز والاهتمام بما لا ينبغي الاهتمام به ٠٠ ثم يتطور الأمر إلى الخوف على ما فى اليد من ملكية بما يتبع ذلك من منحها الوقت والجهد ٠٠ حتى تمتلك المملوكات مالها ٠٠ كله ٠٠ عقله وجسده ووقته وانفعاله وينسى مجتمعه وإخوانه فى مرحلة مهلكة ٠٠

صحيح أن الأمر يبدأ فى حرمان المجتمع والإخوان من وقت قليل يتم تحويله إلى الممتلكات ٠٠ ومن السهل أن يستساغ ذلك ، لاسيما فى ظل الأزمات المالية الطاحنة فى أيامنا هذه ٠٠ إلا ان الحذر والتحذير ليس من الخطوات الأولى أو من المراحل الأولى على كافة أشكالها ٠٠ بل من النهاية التي يجب أن يحذر الإنسان منها ٠٠ لذا كانت الآية محذرة من النهاية

(>##9*+:y%6*5 8H9*F-1%&60#)

ولايقولها الشيطان الا بعد الخطوات ٠٠

فالملكية الناضجة التي منحها المرء قليلا من الوقت لا ينبغي أن تمتلك قليلا من النفس ، وإن هى تملك قليلا من النفس مع الوقت فإنها تلح فى أن تدفع الإنسان الى أن يتبنى ملكية أخرى فيمنحها بعضا من الوقت وذلك على حساب الوقت الذى يجب أن ينفقه المرء مع الجماعة المسلمة ٠٠ والملكية الجديدة تأخذ نصيبها من النفس ولا شك ٠٠ ومن الوقت أيضا ٠٠ ثم يتطور الأمر إلى نصف الوقت ٠٠ حتى تلتهم المملوكات الواجبات كلها ٠٠ ويتحول المالك إلى مملوك يخدم سيده ويمنحه وقته وعرقه وجهده وانفعالاته وشغفه وأمله ويأسه ٠٠ وتتهار المشاعر الإسلامية السامية أمام مشاعر السوق المستحدثة ٠٠ ويحل تنافس الصناعة والزراعة وجودة المنتج محل منافسة الجماعة فيما بينها على فعل الخيرات والتسابق إلى الدعوة - طريق الجنة ، ولأن المصطفى صلى الله عليه وسلم يجب أن يعيد المعادلة إلى أرقامها الصحيحة وبالطبع لا يكون ذلك فى إلغاء المال او غريزة التملك ٠٠ ولكن يكون ذلك فى التحذير من أن تتحول ملكية الإنسان للمال لخدمة الجماعة إلى ملكية المال للإنسان على حساب الجماعة ٠٠ يجسد هذا الحديث القدسي

(=-)Sj"+*Gg)Sj 9)! ' ' =-)Sj*G (:)Sj 9) *-\$ * -)

وحتى يتم إصلاح الأمر ، منع الطبيب عن مريضه أنس الجماعة . . . ليذيقه مرارة الوحدة التي اختارها لنفسه عندما تخلف بسبب اهتمامه بالمملوكات . . .
 وكأنه صلى الله عليه وسلم كان يدعو صاحبه إلى تجربة الأمر بالمآل وليس على قدر الحال . . . إنه يخبره بأن الحرارة قد بدأت في الارتفاع . . . صحيح أنها لم ترتفع كثيرا ربما درجة أو أقل ولكنها نذير ببداية المنزلق الذي سيصل به إلى اعتزال الجماعة . . . والذي ينتهي به إلى أن يحرم نفسه من الجماعة . . . وأن يحيا لنفسه فقط - ذلك أن شيئا قد شغل الصحابي عن حاجة الجماعة إليه . . . وكان هذا التخلف بداية لمرض . . . يحتاج إلى العلاج الفوري . . . ومن هنا فإن النظرية قد بدأت في الاهتزاز في قواعدها . . .
 فلم يعد أمر ملكية الإنسان لخدمة الجماعة كما يدعى الصحابي وإنما المال هو الذي بدا في تملك الإنسان على حساب الجماعة في غزوة هي تعبير عن مصلحة الجماعة التي انشغل عنها أحد المقاتلين الأعداء . . .

والعلاج يأتي بتجربة الأمر كما سبق القول ، فمخ النبي صاحبه فرصة المعاشة الكاملة لواقع كان يسير إليه بخطى سريعة . . . وهو واقع اعتزال المجتمع . . . والذي يكاد أن يصل إليه المرء بعد أول هزيمة أمام الشيطان . . . فهي الأصعب دائما . . . وبعدها تتوالى الهزائم و الانهيارات وبدلا من أن يكون المال خادما . . . يصبح هو المخدوم . . .
 إذن فقد حرم النبي صلى الله عليه وسلم صاحبه من الجماعة لأن مآل الأمر كان سينتهي بهذا الصحابي إلى حرمانه من الجماعة ولو استمر في هذا الخطأ . . . فلا الأحاديث تدور بينه وبينهم ولا السلام ولا الكلام . . .

ثم أبقى صلى الله عليه وسلم - على كل العناصر التي شغلت الصحابي عن الغزو فأبقى له أرضه وحياته و ماله ولم يأخذ منه إلا الجماعة

(*)Y# 90 9-)4+)%)&24+! =-4D [&K4? KI:!))

والترزم المسلمون بالأمر طبعاً

(O*%&*..:"<*G)

حتى النبي المحب ضرب بنفسه المثل فمخ نفسه - على عناء وتعب - حتى من مجرد النظر إلى الصحابي مغالبا كل مشاعره الفياضة صلى الله عليه وسلم

(K%#6.53 ("Y? K4D U453&&G 1:%&=5 *+dG=:) *- 5 (4? 320)

وحتى أقرب الأقارب وأعز الأصدقاء وأحب الناس إليه - أبو قتادة - الذى تجمعت فيه
وفى علاقته بكعب كل هذه الصفات المجتمعة . . أبى ان يحدثه ولو بالسلام

(2Y+%K4D \$ *) [&! ' ' =-4D U)4+G

ولأن الزوجة هى جزء من المجتمع المسلم فقد سرى عليها نفس ما سرى على بقية
أفراد المجتمع من إجراء . . فلتنك التجربة كاملة إذن وبنفس الترتيب الذى سيحدث إذا ما
تملك المال من الإنسان . . فهو يبدأ بمجتمعه فعلا . . وتكون الزوجة هى آخر الضحايا
. . إذن فقد نقل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الحقيقة الغائبة إلى الواقع كحياء مجسده أمام
كعب بن مالك رضى الله عنه

6*;G (:-"d 24+! =-4D [&6!+ 6!+ &H9-+)J%&9) =4%9!R 3Up) &HK"/)

(g"3)&6L"R' 9&g)d 24+! =-4D [&K4? [&6!+ 9H:

وهكذا اكتملت الدائرة . . فليجرب كعب واقع الابتعاد عن الجماعة المسلمة . . وليحاول
أن يتحملة لمدة خمسين ليلة فقط ، وقد نقل إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم ذلك الحال
الذى سيكون فى المآل وهو الذى لا ينطق عن الهوى . .
وكانت نتيجة التجربة كما وصفها صاحب اليوميات تلك المشاعر التى آلمته إلى الدرجة
التي تنكرت فى نفسه الأرض . . وضائق عليه الأرض بما رحبت .
إنه إذن قد رأى الحال بعين رأسه . . وليس من المهم أن يكون المريض على علم بطبيعة
الدواء أو تركيبه الأجزاء منه . . إلا ان الثقة فى الطبيب هى التى تجعل المريض يصبر
على ألم الدواء ومرارته . .

ومقاطعة المسلمين لكعب وصحبه هى حكمة تربوية عالية تظهر له فائدتها فى الوقت الذى
يشاء الله لها ان تظهر . . ولكن إلى أن تظهر الفائدة لابد وأن يعيش كعب فى واقع هو
نهاية الطريق الذى بدأه مع أول انشغال خاطئ عن الجماعة .
واستمر العلاج لخمسين ليلة كاملة . . وهو المزيج من قرارات ثلاثة :

١ . إرجاء الأمر إلى أن ينزل الله فى كعب وأصحابه قرآنا . . مهما طال الوقت وهو

شعور بالقلق يأتى بإيلام أشد مما لو نزل به العقاب .

٢ . إصدار الأمر إلى جماعة المسلمين باجتئابهم حتى وصل الأمر إلى أقرب الأصحاب

وأقرب الأقارب وإلى عدم رد السلام . . حتى من أحب الناس إلى قلبه

٣ . اعتزال كل منهم لامراته

وهذه النقاط الثلاثة التقى بها كعب بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم وكأنه يرى حاله عند التماذي إلى نهاية الطريق ، وقد أتى هذا المزيج بنتائج الرائعة وارتقى كعب إلى درجة كان عليها قبل أن تحدثه نفسه بما حدثته ٠٠ بل وارتقى على تلك الدرجة بعهد مع الله ٠٠ وهو ما نطلق عليه نجاح مهمة المربي ٠٠ فالغاية من أي إجراء علاجي هي الإصلاح ٠٠ حتى لو كان الردع العام مستهدفاً فإن الإصلاح هو الهدف الأسمى من العقوبة ٠٠ إن نجاح هذه المهمة كان مرهوناً بمزيج رائع من حب المربي للجندى ٠٠ ورغبة المربي في إصلاح الجندى والشفقة عليه ، وحرص الجماعة المسلمة على أبنائها وثقة الجندى في محبة وحكمة قائده ٠٠ تلك العناصر التي لو غاب واحد منها لتحول الأمر إلى معركة كلامية تستعر بين المسلمين وتنتهي بفقدان المجتمعات المسلمة أحد رموزها من أصحاب السبق فيهم والقيادة ٠٠

نعم ٠٠ إن كثيراً من القادة يعالجون على أرضية غير أرضية الحب ٠٠ بل إن بعضهم ينتقمون في صورة العلاج أو العقاب وثمة خيط رفيع بين كل حالة ٠٠ يجب التبصر به ٠٠

=)*J

(24+! =-4D [&K4?) K.)%N)I) X*:<

U*-)!-%E/*? *A& *)#

وإذا كان كعب بن مالك قد مر بمشاعر عديدة أثناء هذا الابتلاء ٠٠ كالألم النفسي والتردد والهمل بالخطأ ثم العودة إلى الصواب - كمرحلة أولى ٠٠ حين قال ٠٠

(E8#& #8'3U;>FG) .f

((439) k3 78 6#. g% K4D 9-R'+3) .w

=-4D [&K4? [&6!+ K%H, < 3 93 U))A K"/ (::!.:T- &%E *) [&G) .a

((+>: E8#*G 24+!

إلا أن المشاعر المتباينة وهذا الصراع الداخلي كان بمثابة الزلزلة التي هدمت كل ضعيف في نفس كعب وأبقت على القوى منه ٠٠

كانت هذه الاختبارات بمثابة حواجز وعقبات يجب عليه أن يتخطاها وهو فى سباقه إلى رضى الله مره أخرى كي يفر إلى الله من ذنبه إذ عصاه ، وقد نجح كعب فى ذلك •
 ولا نجد غرابة فى أن تتعرض هذه النفس وهى فى هذه المرحلة إلى المقاطعة والاجتتاب ثم إلى عدم المصافحة من المسلمين والامتناع عن رد السلام من أقرب الناس إليه ثم تتعرض إلى فتنة العرض السخي من ملك غسان بالهجرة إليه ليكون عزيزا سيدا ثم بالأمر باعتزال زوجته •• وكلما خرج من حلقة دخل فى حلقة أضيق منها ••
 كل هذا مع نظرات النبي الحانية عليه ومتابعته صلى الله عليه وسلم له •• والنظر إليه فى الصلاة بطريقه المسارقه الخفية •

ولعله صلى الله عليه وسلم كان يرسل إليه من يتابعه دون ان يراه •• ولعله علم بأمر ملك غسان •• فما كان ذلك ليخفى على النبي وقد علمه رب السموات ••
 بل انى لأتصور الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو يمنح كعبا درجاته النهائية فى كل امتحان ، ومن هنا فقد يسلم كعب بن مالك أوراق إجابته ولكن فى نهاية الاختبار والعلاج •• ولكن النجاح أيضا كان على مراحل فإذا ما لامه أهله وعشيرته على صدقه - وهو امتحان مبدئى فى المرحلة الأولى •• إذ يقولون ••

P &A 6.5 *:8 U.:83U:# g*:)4D *) [&]

=%H 8'0&*). 24+! =-4D [&K4? [&6!+ K%HU 8'0&9!#' @ 93 UL<0 \$,%
 (g%24+! =-4D [&K4? [&6!+ *j"+&g.:8 g-G# 9*# \$5! 9!>4J)%

أجابهم بالإصرار على ما فعل - عن صدق وبمزيد من الإصرار - بعد أن سأل عن يزامله محنته فأخبروه باسم مرارة بن الربيع وهلال بن أمية الواقفي ، وهنا وضع إجابته على الأوراق فى الامتحان الأول بالإصرار على الصدق

(*A! #89-/ U-p)G

وهنا يحصل كعب على درجات السؤال الأول فى الامتحان إن صح التعبير ••
 ثم بدا الامتحان الثاني وهو عبارة عن دائرة أضيق من سابقتها

(*%& -j"! O*%&*..:"<*G)

ثم ما كان بينه وبين ابن عمه وحبيبه أبى قتادة من امتناع ذلك الحبيب والقريب حتى عن رد السلام ••

وتجمع الألم مع ألمه السابق والشديد بإعراض رسول الله عليه وسلم عن النظر إليه إلا
خلسة ٠٠ ليأتي وسط هذه الحلقة الأضييق السؤال الثاني والذي يعبر عن المستوى الأعلى
فكان الامتحان الثاني هو رسالة ملك غسان

D/%GNRp) @! 9&A & [&g4R<- 2% g*× \$5 g./*? 93 (:j4 \$5 =:iG SR *)3
(g+&: *..

وفى هذه المرة كانت الإجابة أسرع مما يتصور الإنسان وهو يضيق عليه بحبائه ٠٠ كانت
إجابة الصحابي الجليل تعبر عن عمق إيماني كبير ، وعن فهم إسلامي رائع ، وعن حب لله
ولرسوله ، وعن فهم لطبيعة الابتلاء وحكمته وغايته

(*I. =" <+G !: "%&*I. U))-"G_ WY.%&9) *p-3&A! *I"3 5*)%U4G

إن فقد كانت الإجابة الثانية فى الامتحانات الربانية هى حرق الشيطان حرقاً والقضاء على
أمنيته الشريرة ٠٠ بأن قام الصحابي بحرق الخطاب ولكن ثمة ملاحظة هامة يجب ان
نذكرها ذلك أن الإجابة فى الامتحان الثاني كانت أسرع ٠٠ ولم يصبها التردد ٠٠ بل كانت
أشد فلم تكن بالرفض وإنما بالحرق كما أن النظر اليها كان عن علو وتفهم ٠٠ باعتبارها
من البلاء وهو ما يعبر عن تطور هائل فى نفسية الصحابي الجليل ٠٠ وهنا كان النجاح
فى المرحلة الأدق والأصعب ٠٠ وهو نجاح يؤهله للمرحلة الثالثة ويؤهله للسؤال
والامتحان والدائرة الثالثة .

فأما الدائره الثالثة فهى الأضييق ٠٠ وتمثلت فى الأمر باعتزال امرأته رضى الله عنه

(g"3)&6L'R' 9&g)d [&6!+ 9H)

وكان نجاح كعب بن مالك رضى الله عنه فى هذه الدائرة الأضييق هو النجاح الثالث
والأخير فى سلسلة الابتلاءات ٠٠ وكان هو الأشد ولاشك ، فماذا بعد أن قاطعه الناس لمدة
أربعين ليله سابقه؟! هل تكتمل الحلقة بحرمانه حتى من مخاطبة امرأته ٠٠!!! إلا ان
نجاح الصحابي فى هذه الحلقة عجل بإعلان فوزه برضا الله عز وجل - ذلك أن إجابة
كعب كانت واضحة وناضجة بل إنها فى الثالثة قد تعدت حدود النجاح ٠٠

ذلك أن كعباً بن مالك رضى الله عنه قد أبى على نفسه حتى مفاتحة النبي صلى الله عليه
وسلم فى أمر أباحه لغيره صلى الله عليه وسلم ٠٠ فكانت امرأة هلال بن أمية قد استأذنت
الرسول صلى الله عليه وسلم فى خدمة هلال ٠٠ وقد أذن لها المصطفى صلوات الله
وسلامه عليه بشرط ألا يقربها ٠٠

إلا أن صاحب اليوميات قد رفض ذلك .. رفض حتى أن يطلب ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم .

لقد حرم نفسه من مباح .. وكانت علتة في ذلك هو الخوف من إجابة محتملة بالرفض أو أن يظن به الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ظنا .. وقرر ذلك ونفسه قوية .. ثابتة .. غير مترددة .. مؤمنه بحكمة الابتلاء غير متحايلة عليه .. هذه النفس المهمة برؤية قائدها لها ، وفي أن يراها في أحسن ثوب وفي أحسن قبول لحكم الله ورسوله ، ومن هنا فقد عادت إليه هيبة الجماعة وهيبة القيادة والخوف من ظن القائد أو الجماعة وهنا فقد تفوق على نفسه درجة بعد درجة

)# g"3)&KG 24+! =-4D [&K4? [&6!+ U:&d'+&!%: (43 n R (%6;G
=-4D [&K4? [&6!+ *I-G 9&d'+&@ [& : U4G=)Sj" 93=-)39. 6YA 9&d'+&
6< *:3 *I-G U:&d'+&H24+! =-4D [&K4? [&6!+ 6!;- *) (:- \$ *)! 24+!
(PE*1

فكان ذلك هو نجاحه في الدائرة الثالثة وحصوله على الدرجة النهائية .. ومن هنا فإن للقارئ أن يلاحظ الفارق في نفسية صاحب اليوميات بين أول اختبار وبين آخر اختبار، الذي كان في هذا الموقف الأخير .. ذلك أن أهل عشيرته حينما حدثوه بأن يعتذر إلى رسول الله بعذر .. وأنه سيكفيه استغفار الرسول له .. تقبل كعب هذه النصيحة بنفسية مترددة وظهر تردها من خلال عبارته

((+: E8#G, < 393U))A K"/ (::!.:T- &%L*) [&!G)

ولكن على العكس من ذلك فقد واجه الامتحان الأخير بنفس ثابتة وبإجابة قاطعه استهلهما بالقسم وأنهاها بالعبارات الثابتة

(24+! =-4D [&K4? [&6!+ *I-G 9&d'+&@ [&)

نعم إنه الآن كعب بن مالك الذي يجب أن يظهر كقدوة أمام الجماعة المسلمة وأن يتحاشى حتى مواضع الظن .. عند قائده .. وأن يظهر أمام قائده بأحسن مما يتمناه فيه .. ومنه .. والآن .. اتزنت النفس التي كانت قد اهتزت .. وانتهت بالمرور بمنعطف الابتلاء وفهمت حكمته .. وأصبحت إجابتها سليمة البنيان .. قوية الأركان .. وعاد إليها السؤال الذي لم تسأله حينما تخلفت عن الغزو في لحظة ضعف فلو قالت ساعتئذ ماذا يقول

الرسول عنى ؟ لما فعلت؟ ٠٠ فبعد أربعين ليلة ٠٠ أصبح لكعب نفس تتوق إلى نظرة القائد واحترام الجماعة وهى نظرة تساعد الجندى على تحمل الأعباء وحمل التكاليف ٠ وقد علم أيضا ان الجماعة لا يعوضه عنها أموال الدنيا ٠٠ وان الإنسان قد يحيا بلا مال ولكنه أبدا لن يحيا بلا جماعة مسلمة ٠٠ تحميه من الهلاك ٠٠ وتعينه على الاستقامة ٠٠ فبعد أربعين ليلة ٠٠ تجلت الحقائق أمامه ٠٠ فاستمر فى وحدته يصلى الفجر على سطح البيت ويعد طعامه لنفسه ولا يجد سميرا يستمع منه وإليه ٠٠ إلا أن هذا النجاح ما كانت نتيجته لتتأخر وما كان إعلانه ليتأخر كذلك ٠٠ فبعد عشر ليال من إجابته الأخيرة وصلت نفسه إلى درجة الخلاص ٠٠ فضائقته عليهت نفس وضائق عليه الأرض بما رحبت ٠٠ إنها الذروة إذن وحينئذ أعلنت نتيجة الامتحان ٠٠ وإن جاءت بعد خمين ليلة ٠٠ فى آيات خالدة ٠٠

)

وكان منهم

صاحب اليوميات فقد تحدثت عنهم الآية رقم مائه وثمانيه عشر ٠٠ فهى إذن خصوصية لها معناها وهى وإن كانت بدأت بحرف من حروف العطف ٠٠ فلم تكن تقرأ إلا ومعها سابقتها ومع ذلك فقد خصصت لهؤلاء الثلاثة حال كونها إعلان النتيجة ٠٠ والمكافأة ٠٠ والتكريم ٠٠ الخاص ٠٠ وعلى المستوى الشخصي ٠٠ كان من المتصور لهذه التربية أن تعيد الصفات الأصلية لصاحب اليوميات ٠٠ إلا أن الأمر قد تعدى ذلك بكثير ٠٠ إن الصحابى الجليل قد وصل إلى درجة رفض كل ما يمكن أن يباعد بينه وبين الجماعة المسلمة ٠٠ وأصبحت نفسيته فى حالة رفض كامل لمتاع الدنيا ذلك أنها لم تعد فى قلبه - أى الدنيا ٠٠ وهولا يريد منها أيضا أن تصبح فى يده ٠٠ نعم لقد اتجه الصحابى الجليل إلى أقصى الجهة المقابلة إذ يقول

[&K%HN5\$? (%) 9) , 4J:393 ("!.! " 9) 9H- 24+! =-4D [&K4? - [&6!+ *-)
(=%+ K%H

ويأتي دور الضبط النهائي لتلك النفسية الرائعة .. وبمعنى أدق : أراد المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يضع اللمسات الأخيرة لآثار تلك المريرة .. فنحن نندرج داخل قواعد ثابتة لا ينبغي الابتعاد عنها لاسيما إذا كان الابتعاد بسبب الموقف الانفعالي للنفس الانسانية ..

&

5
*إلى و

+

^& " () - . / - . () / . . . - ()
Pict%f(%f FTc (& 54.429.28 D ..16 -26. 52 Tc (^&)Tf 06428 0 TD<%

ومن هنا فإن صاحب اليوميات قد أوفى بعهده مع الله .. كما شهد الناس بذلك
 س [&G 6!+ %g% U #8 &) ^-\$/%&D\$? KG [&SY.39-)4+)%&9) \$/3243*) [&G
 [&6!+ %g% U #8 &) USI1 *) ' ' K:Y.3*) 9+/3 24+! =-4 [&K4? [&
 (U-;. *)-G [&(:l>/- 93!< \ (:H *.8# &A ()!- K%#24+! =-4 [&K4?

&#A!

انتهت يوميات الصحابي الجليل كعب بن مالك وهو يروى قصته مع الابتلاء .. ابتلاء
 بوسوسة الشيطان .. ثم ابتلاء بالعلاج وصعوبته ، ثم بمرحلة طويلة من مراحل التربية
 النفسية قادها قائد حكيم وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم صلى الله عليه وسلم ..
 وانتهت معركة الابتلاء بنجاح باهر .. حظي فيه الصحابي بالتوبة .. وهى أهم المكافآت
 وأغلاها .. وحظى بإعادة نفسه إلى ما كانت عليه قبل المحنة بل لعله ارتفع قدرا عما
 سبق .. ثم حظي بعهده مع الله ألا يقول إلا صدقا .. وقد أوفى بعهده .. فحظى بجزاء
 من أوفى بعهده مع الله .. ثم هو فى النهاية قد حظي وأصحابه بمرتبة الخلود مع آيات
 القرآن فأصبحت التوبة قرآنا يتلى إلى قيام الساعة ..

24+! =-4 [&K4? [&6!+ =.*/? 90 [&Kp

||| [&S)/. 2'

X!: *'J)

w' ' f 2*R&- D/4%&- S F 9<+